

ذخائر العرب

٣٤

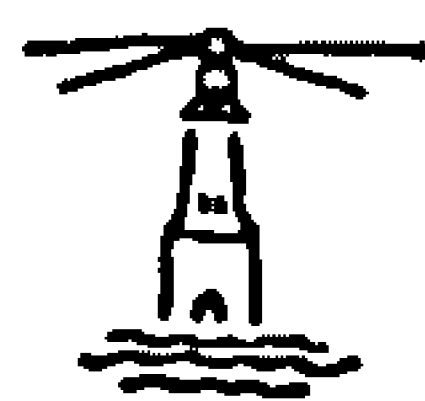
ديوان البحتري

عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه

حسن كامل الصيرفي

المجلد الأول

الطبعة الثالثة



دار المعارف

● ذكر أبو هلال العسكري في كتابه « ديوان المعاني » أن الصول قال :

سمعت عبد الله بن المعتز يقول : لو لم يكن للبحرئى إلا قصيدته
السينية فى وصف إيوان كسرى ، فليس للعرب سينية مثلها ؛
وقصيدته فى البركة « ميلوا إلى الدار من ليلتى نحيها » .
واغتنباراته فى قصائده إلى الفتح التى ليس للعرب بعد
اغتنبارات النابغة إلى النعمان مثلها ، وقصيدته فى دينار
ابن عبد الله التى وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله أولها « ألم
تر تغليس الربيع المبكر » ووصف حرب المراكب فى البحر ؛
لكان أشعر الناس فى زمانه ، فكيف إذا أضيف إلى هذا
صفاء مدحه ورقّة تشبيهه !

● وقال ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر » وهو يتحدث عن البحرئى :

وسئل أبو الطيب المتنبي عنه ، وعن أبي تمام . وعن نفسه :
فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحرئى .
ولعمري إنه أنصف فى حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن
متانة علمه : فإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المكدود
من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ،
فأدرك بذلك بُعد المرام ، مع قربه إلى الأفهام ؛ وما أقول
إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاق الغالية ، ورقى فى ديباجة
لفظه إلى الدرجة العالية .

● وقال الثعالبي فى كتابه « برد الأكباد » إن أبا القاسم الإسكافى قال :

استظهارى على البلاغة بثلاثة : القرآن ، وكلام الجاحظ ،
وشعر البحرئى .

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله العلىّ القدير ؛ الذى قدّر لى أن أشهد من مظاهر التقدير الخالص
بوجهه إلىّ فى كل مكان من كل بلد للعمل الذى قمتُ به فى تحقيق هذا الديوان
والمنهج الذى ارتضيتُه فى هذا التحقيق ، ما عوّضنى عما بذلتُ من جهد وما أنفقتُ
من عمر لأنهض بهذا الواجب .

والشكر بعد الله ، الذى أعاننى على ذلك جلّت قدرته ، إلى العلماء الأجلاء
الذين أشادوا بما صنعت فى هذا الباب ، والذين أبدّوا من سديد الرأى ما استلهمتُ
منه الصواب . وإنى لأشكر بخاصة الأخ الكريم العالم المحقق الأستاذ عبد السلام
محمد هارون على ما قدّم إلىّ فى مقالاته التى نشرها منذ سنوات فى « المجلة » وجمعها
بعد ذلك فى كتابه « حول ديوان البحرى » من ثناء أرجو أن أكون دائماً أهلاً له ،
وما عسّى به نفسه من استقصاء الجزء الأول من الديوان .

وأشهد أنى قد أفدت كثيراً من ملاحظاته وتوجيهاته — وهو الرجل الذى
تمرّس بهذا الفنّ قرابة الأربعين عاماً — فكان لهذه الطبعة حظٌّ من التصويب
على ضوء ما أثار نقده .

على أنى قد احتفظت برأى فى بعض ما نقده الأستاذ الجليل من مثل :
١ — قول الشاعر فى صفحة ٢٧٦ « من يتصرّع » وقول الأستاذ هارون :
صوابه « يتضرّع » .

والشاعر قد استعمل هذه الصيغة أكثر من مرة فى قوله فى البيت ٩ من
القصيدة ٥٠٠ [صفحة ١٢٤٦] والكلمة الأخيرة فيه تؤكد لها :

أَمِنَّا أَنْ تَصْرَعَ عَنْ سَمَاحٍ وَلِلْأَمَالِ فِي يَدِكَ أَضْطِرَاعُ
وفى البيت ٢٢ من القصيدة ٥٠٥ [صفحة ١٢٦٥] :

لَمَرَّ عَلَيْنَا غَيْمُهُ وَهُوَ مُثْقَلٌ فَعَرَجَ فِينَا وَبَلُّهُ وَتَصَرَّعَا

وفي البيت ١٤ من القصيدة ٧٠٣ [صفحة ١٨٤٣] :

يَتَصَرَّغْنَ لِلرَّجَاءِ دُؤُورٌ أَلْ غَمِيمِ ، وَالْوَدْقُ خَارِجٌ مِنْ خِلَالِهِ
ولقد فسرناها جميعها بمعنى التواضع والتساقط . وانظر كلام الآمدى فى
الموازنة (١ : ٣٨٤ طبعة دار المعارف) .

٢ - لفظة « العُرُوب » : جمع « عَرَبَةٌ » ، وهى سفنٌ رواكد كانت
فى دجلة ، وكانت عبارةً عن طواحين قائمة على هذه السفن .
قال الأستاذ هارون : « ولست أتكلم فى غرابة هذا التفسير ، وإنما الغريب
حقاً أن تُجمع العربية على العُرُوب ، فإنّ هذا لا يكون . وصواب
الكلمة « الغُرُوب » بالغين المعجمة المضمومة وهى الدلاء العظيمة . . » .
ونقول إن هذا الجمع للعروب قد كان متداولاً ، ذكره الشابشى فى « الديارات »
(٤٥ طبعة أولى) حيث قال وهو يتكلم على « دير مر جرجس » على
شاطئ دجلة : « والعُرُوب بين يديه » .
وهذه الصيغة ذكرها ابن الرُّومى فى شعره أيضاً [ديوانه ١ : ٥٤٨] :

وجاوَزْنَا قُرَى بَغْدَادَ حَتَّى دَلَّلَنَّا عَلَيْكَ أَصْوَاتُ العُرُوبِ
وإن كان محقق الديوان المرحوم الشيخ محمد شريف سليم قد جعلها « الغُرُوب »
وقال : « وفى الأصل العُرُوب بالعين المهملة ولا معنى له . فأصلحناه
(الغروب) » وقال فى تفسيره : « حتى دلان عليك أصوات الغروب ،
أى إلى أن أرشدنا إليك الأصوات التى تعلو عند مغيب الشمس (أى
أذان المغرب) أو الأصوات التى تحدث من الدلاء العظيمة التى يستقى
بها الماء على السانية (الشادوف) . ولعلّ ذلك كان يفعل على شطوط
دجلة عند سامراً » .

ويذكر الأستاذ كوركيس عوَّاد فى شرحه للديارات أن « العروب » أى
الطواحين كانت شائعةً فى العراق والجزيرة وبعض ما جاورها من
البلدان ، ويرتقى استعمالها إلى ما قبل الإسلام ، وظلّت معروفةً
حتى المائة السادسة للهجرة ، ثم قلّ استعمالها . مُحيلًا إلى مقال

للأستاذ ميخائيل عواد عن « العُروب في العراق » نشر في الرسالة « مجلد ٨ سنة ١٩٤٠ العدد ٣٦٠ ص ٨٩٤ - ٨٩٦ .

٣ - أخذ علينا تفسيرنا في صفحة ١٤٣ للحجّام بأنه الحلاق . وقال : « والحلاق غير الحجّام ، فالأول لتحليق الشعر ، والآخر لاستنزاف الدم ، وإضافة عمل الحلاق إلى الحجّام لا يصح معه أن يقال لما يستعمله الحلاق من أدواته محاجم . . . » ثم قال : « فالتعميم في تفسير الحجّام بالحلاق لا سند له في اللغة ولا الاستعمال » .

ونقول : إن البحترى نفسه قد استعمل ذلك في هجوه لصاحب

بريد مُضَرَّ فقال في القصيدة ٨٠٩ [صفحة ١٢٣٥] :

الآنَ أَيْقَنْتُ أَنَّ الرِّزْقَ أَقْسَامُ لَمَّا تَقَلَّدَ أَمْرَ الْبُرْدِ حَجَّامُ

ثم قال :

فجاءهُ بِتَقَارِيضٍ وَمُرْهَفَةٍ مِنَ الْمَوَاسِي لَهَا فِي الْحَلْقِ إِحْكَامُ

والحَلْقُ : هو إزالة الشعر . والتقاريض : المقصات

ونجد في كتاب « لباب الآداب » (٨٥) خبراً أن الحسن بن عليّ دعا « حجّامه ليسوى من شاربته » .

وجاء ذكر « أبي حرملة الحجّام » في تاريخ الطبرى بهذه الصيغة (٩ : ٤٥٣ دار المعارف) . وورد في كتاب « الذخائر والتحف » وفي كتاب « الديارات » باسم « أبي حرملة المزّين » .

وكلّنا يذكر حتى الثلاثينات من هذا القرن ما كان يؤديه حلاق الصبغة من أعمال القصد وخلع الأسنان .

٤ - أخذ علينا عند ذكر بيت البحترى في [صفحة ٥١٩] :

سَمَا بِالْخَيْلِ أَرْسَالاً لِسِيمَا فَمِنْ شُؤْسٍ إِلَى الدَّاعِي وَقُودِ

تفسيرنا للشؤس بأنه جمع الأشوس . وهو الجرىء على القتال الشديد . والقُود بأنها السهلة القياد .

وقال : « أمّا تفسير الشوس بهذا فلم أره من قبل والمعروف أن

الأشوس هو الذى ينظر بمؤخر العين تكبراً واستعلاء أو غيظاً ، أو الذى يرفع رأسه تكبراً .

وقال : « وكذلك تفسير القود على هذا الوجه ليس صحيحاً ، وإنما هو جمع أقود وقوداء ، وهو من الخيل : الطويل العنق » .

ونقول إن تفسير الأشوس كما ذكرناه منقول عن اللسان (٧ : ٤٢٢ سطر ٧ طبعة بولاق) .

والتفسير الذى جاء به الأستاذ الجليل لكلمتى « الشوس » و « القود » صحيح لا غبار عليه ، ولكنه لا يناسب الموقف هنا ، وإنما الذى يناسبه تفسيرنا ؛ حيث يذكر البحرى أن ممدوحه كان يرقى بخيله فى أرسال متابعة إلى مقر قيادة سيم الطويل حاكم أنطاكية لينقض بها عليه . فلو أن الخيل كانت تنظر بمؤخر العين تكبراً لتدهورت من هذا الجبل إلى سفحه ، ثم هو يصنفها بأنها كانت سهلة القيادة تجيب دعوة الداعى إلى القتال فلا تحرن .

ولعلّ الأخ الكريم يوافقنى على أن التفسير الآخر ينطبق على الخيل إذا كانت فى موقف عرض لاموقف حرب .

• • •

هذا بعض مما أردت أن أذكره فى مناسبة الطبعة الثانية . أما ملاحظات أخى العالم المحقق الحجّة فقد كانت هادياً لى صوّبت ما جانبى التوفيق فيه على ضوئها — والعصمة لله وحده — شاكراً للأخ الكريم جميل عنايته وتفضله بما قدّم ، حفظه الله ، ومستزيداً منه ومن غيره من العلماء الأجلاء ما يهديننا إلى وجه الحق .

وبعد ؛ فهذه هى الطبعة الثانية أقدمها ، وأنا أرجو أن يقدر الله لى أن أقدم طبعة ثالثة بإذنه تعالى تكون أقرب إلى الكمال الذى أحاول أن أبلغ أعتابه .

حسن كامل الصيرفى

مقدمة الطبعة الأولى

الشاعر الفنان

خلال عام ١٩٤٩ وقعت لي نسخة من كتاب « عبث الوليد » لأبي العلاء المعري، الذي نقد فيه طائفة من شعر أبي عبادة البُحْتَرِي فردّني هذا الكتابُ إلى قراءة ديوان البحتري، واسترعى نظري أن الديوان قد خلا من قصائد كثيرة أشار إليها المعري، وبخاصة قصائده التي كتبها في الحقة التي استولى فيها أحمد ابن طولون على الشام؛ ودفعني هذا الكتاب إلى البحث عن هذه القصائد الضائعة. وحرّضني أخي العزيز الأستاذ إبراهيم الأبياري على المضي في هذا البحث والعمل على تحقيق الديوان، ولم يزل بي يسهّل لي الأمر ويهوّنه حتى اندفعت في المأزق الصعب الذي لم أستطع الخروج منه، وكلّما سخرت من نفسي ردّني تشجيعه إلى قطع الطريق حتى النهاية.

ومضيت أشهراً أذهب في بياض كل نهار إلى دار الكتب أراجع مخطوطات الديوان، ثم ألتقي بالأستاذ الأبياري كل مساء في حجرة بأعلى دار المجمع اللغوي بشارع قصر العيني حيث كان يشترك مع الصديق الدكتور مراد كامل في وضع أسس « المعجم الكبير ». وكانت هذه الحجرة تزخر بعدد ضخم من المراجع في اللغة والأدب والتاريخ، فأمضى مع الصديقين الكريمين ساعات اجتماعهما أقلب صفحات هذه المراجع بحثاً وراء بيت شعر للبحتري، ناقلاً ما أجده، مقارناً بين روايته في تلك المراجع وروايته في الديوان.

ثم تمادى بي الأمر، فسعيت وراء مخطوطات الديوان أنقب عن أماكنها في كل مكان؛ وكان أن انتهزت فرصة سفر الأخ الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب في أواخر عام ١٩٤٩ إلى تركيا، فطلبت إليه أن يبحث لي عن مخطوطات الديوان الموجودة هناك ممّا ذكره المستشرق الكبير الدكتور كارل بروكلمان في كتابه

« تاريخ الأدب العربى » . فتكرم مشكوراً بالرجوع إليها ووصفها لى فى رسالة خاصة .

ثم بدأت فى نسخ شعر الديوان . ومقارنة الطبعات الثلاث بعضها ببعض ، وأخذت بعد ذلك فى نقل ما فى مخطوطات القاهرة من زيادات عن الطبعات الثلاث . فشحجنى على الاستمرار فى هذه التجربة عثورى على الكثير من القصائد الضائعة التى أشار إليها أبو العلاء المعرى فى كتابه « عبث الوليد » . ثم أخذت فى تصوير كثير من المخطوطات الموجودة فى خارج البلاد ، فحصلت على المخطوطة المحفوظة بمكتبة ميونخ ، وقد رُتبت فيها القصائد على حروف الهجاء ، وهى نسخة غير كاملة ؛ ثم حصلت على المخطوطة المحفوظة بمكتبة كوبريلنى بالآستانة ، وهى التى نُشرت عليها طبعنا الآستانة وبيروت ، وبعد ذلك تابعت السعى فى تصوير غيرها من النسخ حتى صوّرت بعض مخطوطات دار الكتب المصرية .

وانصرفت عما حولى أدرس شعر الرجل ، وأتابع الأحداث التى يشير إليها ، وأدرس مع ذلك كله عصره وبخاصة الثمانين عاماً التى عاشها وحياته خلالها وعلاقاته مع أهل عصره من خلفه ووزراء وكتّاب وأدباء وشعراء وقادة وأمراء ورجال بلاط وخداماء . حتى المغمّرين من الناس الذين ذكرهم فى شعره رحت أقلب صفحات الكتب منقبّاً عما يكشف لى ظلّ صورة لهم .

وأخيراً وجدت أن ما حسبته ميسراً سهلاً هو فى الحقيقة أمرٌ مُضنٌّ ، وأن الطريق إليه ليس معبداً كما تصوّرت ، وأن هذا الشاعر الذى يرقّ أحياناً حتى يصير شعره كالجدول الرقراق يشفّ ماؤه الصافى عن حصائه ، يهدر أحياناً أخرى كالمحيط تملو أمواجه وتهبط وتنفسح رقعة فلا يُعرف مدى انتهائه .

وكم من مرة حدثنى النفس بالتوقف عن هذا الأمر : وتخليص النفس من هذا الأسر ، والبعد عن هذا الطريق الوعر ؛ ولكن هاجساً خفياً كان يهتف بى ألاّ أترك الأمانة التى قبضتني الأقدار لها عن غير علم منى بالأدع شعر هذا الشاعر الفنان ينشر على الناس فى مظهر لا يليق بجمال شعره فى حين يظهر شعر من هم أقلّ مرتبة منه فى مظهر أنيق ، وعلى جانب كبير من الدرس والتحقيق .

ونسيتُ شعري أنا ، وغفلتُ عن جمعه وتبويبه ، وراء جمع شعر البحترى

الذى هالني أن أجده - وهو صاحب الشعر الذى سُمي « سلاسل الذهب » لعدوبته وحماله - يصرخ فى زمانه قائلاً :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَى لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ
وفكرتُ ، أول الأمر ، فى تأريخ قصائد الديوان تمهيداً لنشرها حسب الترتيب التاريخى لنظمها ، ولكنى عدلت عن هذه الفكرة بعد فترة من الزمن حين تعذر على الاهتداء إلى تأريخ لعدد من القصائد ، وحتى لا أقيّد مَنْ بَعْدِي باحتمالات قد أكون مخطئاً فيها ، ورأيتُ أن الأفضل نشره مُرتَّباً على حروف المعجم ، والنسخ التى بين يديّ من هذا الضرب من الترتيب مختلفة إلى جانب أنها حديثة لم يُشرَفِ واحدة منها إلى أصول قديمة نُقلت عنها ؛ ووجدت أن أقدم مخطوطة أخذت بهذا الترتيب هى المحفوظة بالمكتبة الأهلية فى باريس ، فحاولتُ الحصول على صورة منها ولكن تأخر حصولي على طلبتي ثلاث سنوات لظروف خارجة عن إرادتي مع الأسف . وكان عملي خلال تلك السنوات الثلاث قد تعثر ودبّ اليأس إلى نفسى ، وران التشاؤم عليها . وما كدت أتسلم (الميكروفيلم) الخاص بها حتى قمت بتكبيره على لوحات ، وعدت إلى العمل بعد انقطاع . وكنت إذ ذاك فى عام ١٩٥٥ .

وفى عام ١٩٥٧ كان القسم الأول والثانى من الديوان فى مطبعة دار المعارف ، ولكن ظروفاً قاهرة حالت دون ظهور الديوان فى موعده . ولعلّ القدر كان يعمل على تأخير ظهوره حتى يخرج للناس فى هذه الفترة الخطيرة من حياة الأمة العربية ؛ فهذا الشاعر الذى تفتحت عيناه على نور وطنه سوريا ، ثم احتضنته العراق وأكرمت وفادته ، تُعَنِّى مصر بنشر ديوانه فى هذا المظهر الذى نرجو أن نكون قد أدبنا به الأمانة التى ألقى علينا الأقدار واجب رعايتها .

• • •

وبعد ؛

فأما الشاعر الذى فرغتُ له ، وقطعت من عمرى سنوات حرمتُ نفسى خلالها من الراحة ؛ يصحبني حين أصطاف ، ويلازمني حين أشتو ، ويفض

على ليالات غموض في بعض شعره أريد أن أزيح خفاءه أو بعض خفائه ،
ويشغل فكرى أيتاماً تحريف فيه : فأغدو وأروح مقلّباً الرأى على كل وجه لأقيم
عيوجه وأردّه إلى استوائه . . هذا الشاعر جدّير بالأقصر هنا صفحات
قلائل على عرض حياته ، فمجال ذلك دراسة كبيرة أرجو أن يتاح لى - إن كان فى
العمر بقيّة - أن أقدمها بعد الفراغ من نشر الديوان كاملاً .

ولكننى أقدم هنا بين يدى الديوان كلمة سريعة فى شعر هذا الرجل الذى
خلّق ليكون شاعراً ، ولو تأخّر به الزمن هذه القرون الأحد عشر التى مضت
منذ وُلد فى عام ١٢٠٤ هـ ، ومات عام ١٢٨٤ هـ ، لكان له فى لونين من الفنون
الحديثة مكان أى مكان ، وأعنى بهذين اللونين : الموسيقى والتّصوير .

فالشاعر البحرى الذى يقول :

الشَّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إِشَارَتُهُ وَلَيْسَ بِالْهَذَرِ طَوَّلَتْ خُطْبُهُ

هو الذى عبّر فى شعره عن قضية أدبية دار فيها الرأى بين زُعماد الأدب
الأقدمين واشتجر النّقاش ، هى قضية اللفظ والمعنى ، فهو يرى المشاكلة بينهما
ويقرّر ذلك حين تروعه المعانى وقد :

حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنُّبِ ظُلْمَةِ التَّعْقِيدِ
وَرَكِبِ اللَّفْظِ الْقَرِيبَ فَأَذْرَكَ نَ بِهِ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ

وقد استطاع البحرى بمذهبه هذا أن يتسّم قمة الإبداع فى حُسن التعبير عن
معانيه بوضوح وجمال ، فبدّت وكأنها كما يقول ابن الأثير « نساء حسان »
عليهن غلائل مصبّغات . وقد تحلّين بأصناف الحلّى . وما يقصد ابن
الأثير إلّا هذا الرنين البديع الذى يلازم تعبير البحرى ، وهذه الرشاقة التى
تصاحب تصوّيره .

ولم يكن البحرى بالذى يجهل قدر المعنى أو يُفضّل عليه اللفظ ، ولكنه
يعرف أن جمال المعنى يتطلّب منه جمال اللفظ فهو يقول :

وَاللَّفْظُ حَلَى الْمَعْنَى . وَلَيْسَ يُرِيدُ لَكَ الصَّفَرُ حُسْنًا يُرِيكَ ذَهَبُهُ

فالمعاني عند البحري أرواحٌ تتحرك وتنفس ، فهو يخلق لها الجو الملائم ، يمازج فيه بين الألوان ويؤلف ، ويربط فيه بين الأوزان ويوحد ؛ عملية من عمليات الصياغة الفنية ، بضرب فيها بريشته الضربات السريعة التي يقول عنها إنها « ملح تكفي إشارته » .

فهو حين يرسم لنا صورة الربيع يقدم لنا أجزاء الصورة متتابعاً المعاني ، يأخذ كل جزء منها بأطراف سابقه ، كما في قوله :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَخْتَالُ ضَاحِكاً مِنْ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
إذ يمهد بهذا إلى القطة الحلوة التي تنبئه لها الطبيعة من غفوة كادت أن تكون مواتاً ، ثم يصور لنا في الجزء التالي من الصورة هذا التنبؤ الحالم الوداع بقوله :

وَقَدْ نَبَّهَ النَّيْرُوزُ فِي غَسَقِ الدُّجَى أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا
يُفَتِّقُهَا بَرْدُ النَّدَى ، فَكَأَنَّهُ يَبُثُّ حَدِيثًا كَانَ قَبْلُ مَكْتَمًا

ولا يخرج الشاعر في هذا عن الجو الحالم ، فهو يعطينا الصورة وادعة متممةً في حديث هادي لاجتماعية فيه ولا تغور ، يبتئ الندى في حنان إلى الورد الذي بدأت أزواره تنحل عنه ليكشف عن مفاته . وهذه خلجات تعتلج في نفس الشاعر ، فهو يصور إحساسه الباطن ، ليعود في الجزء الثالث من الصورة إلى الحس الواعي الذي يشترك فيه مع غيره من الناس ، فيقول :

فَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ ، كَمَا نَشَرْتَ وَشِيًا مُنْمَنًا

وهو بهذا يكمل أجزاء الصورة السابقة ، فإن أول شيء يفكر فيه المستيقظ عند انتباهه أن يأخذ أهبتته للقاء الناس باللباس الذي يروق لهم . ثم يتابع هذا بقوله :

أَحَلَّ ، فَأَبْدَى لِلْمُعْيُونِ بَشَاشَةً وَكَانَ قَدْ ذِي لِلْعَيْنِ إِذْ كَانَ مُخْرِمًا

فهو بعد أن طوّف بخياله في هذا المنسك الرائع من مناسك الطبيعة

يرتدُّ بذهنه إلى صورة من صور الواقع الحسى يستمدُّها من إحرام الحجيج حين يتجردون من ممخيط الثياب ، ويأخذ من هذا المشهد الذى بنى عالماً بذاكرته من حَجَّتَيْهِ صورة لتجرُّد الأشجار من أوراقها وأزهارها .

فشاعرنا لا يكتفى بعرض اللوحة أمامنا بألوانها الطبيعية التى نقلها عن الطبيعة ذاتها ، ولكنه يدعنا نلمح فى أرضية اللوحة ظلالاً أخرى تُضفي على الصورة حيوية حين يمازج بين إحساس خفى وإحساس ظاهر .

• • •

وفى صورة أخرى يقدمها لنا البحرى نرى التمازج الكامل بينه من ناحية أحاسيسه الباطنة القائمة وبين مظاهر الطبيعة المتألقة الباسمة إذ يقول :

لَمَقَهَا بَعْدُ عَهْدَهَا بِالْفَوَانِ	لِبُكْيَا هَذِهِ أَلَمَ غَانِي أَلْتِي أَخْ
نَ خَلِيًّا مِنْ كُلِّ مَا تَجِدَانِ	أَسْعِدَا أَلْغَيْثَ إِذْ بَكَاهَا وَإِنْ كَا
حُلَلًا مِنْهُ جَمَّةٌ أَلْأَلْوَانِ	جَادَ فِيهَا بِنَفْسِهِ فَاسْتَجَدَّتْ
فَصَرَ حُسْنًا ، وَوَشِيهِ الْأَرْجَوَانِ	فَهَى تَهْتَزُّ بَيْنَ إِفْرِنْدِهِ الْأَخْ
أَنْجُمٌ مِنْ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ	فِي سَمَاءٍ مِنْ خُضْرَةِ الرُّوضِ فِيهَا
كَاجْتِمَاعِ أَلَّلُجَيْنِ وَأَلْعَقْيَانِ	وَأَصْفِرَارٍ مِنْ لَوْنِهِ وَأَبْيَضَاضِ
بَاعْتِنَاقِ أَلْحَوَذَانِ وَأَلْأَقْحَوَانِ	وَيُرِيكَ أَلْأَحْبَابَ يَوْمَ تَلَاقِ
بِنَشِيرِ أَلْيَاقُوتِ أَلْمَرْجَانِ	فَكَأَنَّ أَلْأَشْجَارَ تَعْلُو رَبَاهَا
بِنَسِيمِ أَلْكَافُورِ أَلزَّعْفَرَانِ	وَكَأَنَّ أَلصَّبَا نَرَدَّدُ فِيهَا
لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ أَلصَّبَا مِنْ شَانِي	قَدْ تَصَابَيْتُ فَأَعْذِرِي أَوْ فُلُومِي
جَلَّتْ حَظِّي فِي أَلرَّاحِ أَلرَّيْحَانِ	وَتَذَكَّرْتُ وَافِدَ أَلشَّيْبِ فَاسْتَهْ

فهنا صورة مختلفة عن الصورة الأولى التى عرضناها للربيع . . . الصورة هنا تترأخيم الألوان القائمة فيها الألوان الزاهية، وتطلُّ من خلال البسات ومضات دموع ، وتسمع من بين هذا الموكب المريح أنات خافتة ، وتعبير سماء هذا

الألحى الضاحك سحاباتُ حزنٍ وأسى . فالشاعر حين بدأ قصيدته بهذا المطلع :

أَدْمَعُ قَدْ غَرِينِ بِالْهَمَلَانِ وَفَوَادُ قَدْ لَجَّ فِي الْخَفَقَانِ

مهَّد أسماعنا ، واسترعى انتباهنا إلى هذه الانفعالات النفسية التى يعيش بها صدره ؛ فهو يقابل صورةً بصورة ، ويعكس ألواناً مع ألوان ، ليربط بين الصورتين فى وحدة تامة ؛ ماضٍ كان كهذا الربيع المتألق . فى شباب كان يأخذ من نِعَم الحياة نصيبه منها ، ثم تسرع الأيام فتطوى هذا الشباب وتُسَلِّمُ إشرافه ومَرَاحته وزَهْوَه إلى مشيب يكبح جماح الأمل فى النفس . ويحاول أن يُسَخِّم نبضات الرغبات فى القلب ، فهو حين يرى بكاء الغيث قد ردَّ إلى الطبيعة جمالها وابتسامها يعاوده أملٌ فيتصابى . ولكن الأمل متهيج الجناح ، فيتلفت إلى ما حوله ، ويتمول فى أسى :

ليس شَيْءٌ من الصَّبَا مِن شَأْنِي .

ويردُّه تَأَلُّفُ الألوان وتعانقُ النبات إلى ذكرى ماضٍ حلوا واجتماع هنىء ذهاباً ، فلا يعيدهما إلى البعث بكاءً " كبكاء الغيث .

• • •

وبمثل هذه الأداة الفنية يتناول البحرى صورَه . ولتقف معه وقفة خشوع أمام الصورة الخالدة التى تركها . وأعنى بها قصيدته فى إيوان كِسْرَى : ولا أريد أن أنطرق إلى تحليل هذه الرائعة الفنية هنا . ولكنى أشير إلى الربط بين ما فى نفس الشاعر وما فى المشهد الذى يقف أمامه . فالشاعر يمرُّ بالإيوان وهو فى حالة نفسية حزينة إذ كان قد سَمَّ الحياة فى البيئة التى كان يعيش فيها ، وكان يتحين الفرص ليعود إلى وطنه الشام . يرجو ويلجئ ، والوزير أبو الصَّقر إسماعيل بن بُلْبُل لا يجيب رجاءه حتى صرَّح بذلك فى قصيدة مدح بها أحمد بن طولون قال فيها :

فَأُضْبَحْتُ فى بَغْدَادَ لا الظِّلُّ وَاسِعُ ولا الْعَيْشُ غُضُّ فى غَضَارَتِهِ رَطْبُ
أَمْدَحُ عَمَّالَ الطَّسَارِيحِ رَاغِباً إِلَيْهِمْ . وَلِي بِالشَّامِ مُسْتَمْتَعٌ رَغْبُ

فَأَيْبَهَاتَ مِنْ رَكْبٍ يُؤَدِّي رِسَالَةً إِلَى الشَّامِ إِلَّا أَنْ تَحْمِلَهَا الْكُتُبُ
ويخرج الشاعر في رحلة صوب « المدائن » ليرى إيوان كسرى ثابتاً على
الزمن ، جَمَلْدَاً على الأحداث : فتنعكس صورة حياته على الإيوان ، وتنعكس
صورة الإيوان على نفسه . وتتآلف الصورتان ، ويقف مشدوهاً أمام هذا البنيان
المترفع عن التهاوى فيقول :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُلْدَنُّ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبَسٍ

ثم ينظر إلى تماسك لَبِنَاتِ هذا القصر فيستشعر العزّة في نفسه والقوّة في
روحه ، ويرى في أعماق نفسه أنه يجب ألاّ يقلّ في تماسكه عن هذا الجماد ،
فيقول :

وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعَزَعَنِي الدَّدُ رُ التِّمَاسُ مِنْهُ لِيَتَغَيَّ وَنَكَسِي

وتنطلق انفعالاته النفسية من مكنها . فهو يصور أحزانه وآلامه وضيقه
بالغربة في سبيل العيش . وبالسنين التي كرّت من حياته فألانت من إباته ؛
وتنطلق مع انفعالاته النفسية مواكب تاريخية تتزاحم على خياله ، وهو يشهد آثار
الفن الفارسي على جدران الإيوان . ثم يحسّ أنه يكاد أن يتهاوى ، وأن تماسكه
يوشك أن يتلاشى ، فيعكس ما في نفسه من أحاسيس على الإيوان نفسه ، فيقول إن
الإيوان :

يَتَظَنِّي مِنَ الْكَآبَةِ أَنْ يَبْ أَوْ لِيَعَيْنِي مُصْبِحٍ أَوْ مُسَيِّ
مُزَعَجًا بالفراق عن أنس ألفٍ عَزَّ ، أَوْ مُرْهَقًا بَتَطْلِينِ عُرْسٍ
عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي وَبَاتَ أَلْ مُشْتَرِي فِيهِ ، وَهُوَ كَوُكْبُ نَحْسٍ
فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّدًا ، وَعَلَيْهِ كَلْكَالٌ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرِي

وأكاد أحسّ أنه أراد أن يطابق بين صورة حياته ، وقد رحل عن جاهٍ عريض
ومجد طال أمدّه في رحاب خلفاء العصر ووزرائه في بغداد ؛ وبين صورة الإيوان ،
وقد تعرّى من مجده الحائل وعزّه الزائل ؛ فهو يقول :

لَمْ يَعْبَهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسْطِ الدَّيْرِ باجِرَ ، وَأَسْتُلَّ مِنْ سُتُورِ الدَّمَقِيسِ
مُشْمَخِرٌ تَعْلُو لَهُ شُرُفَاتٌ رُفِعَتْ فِي رُءُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ

* * *

وثمة صورة أخرى استمدَّ الشاعر فيها معانيها من أعماق نفسه ، وطابق فيها بين أحاسيسه الظاهرة والباطنة ، وهي قصيدته في وصف الذئب الذي لَقِيَهُ في طريقه وهو يشقُّ البادية سعياً وراء الرزق (القصيدة رقم ٢٨٩) ، ولعلها هي أول خطوطه في هذا اللون . ففي هذه القصيدة يطابق بينه وبين الذئب ؛ كلاهما يضرب في مجاهل الصحراء ، وكلاهما جائع ؛ عوامل الشر وعوامل الخوف تنتاب كلاً منهما ، وغريزة حب البقاء تستولى على كلٍّ منهما بالصورة التي تتفق مع لون دفاعه .

إنها صورة رائعة من صور الصراع النفسي من أجل الحياة ، استطاع فيها البحترى — على رغم حداثة سنِّه حين قال هذه القصيدة — أن يوفق بين تنسيق أجزائها ، واستطاع كذلك أن يعبر عن أحاسيسه الباطنة بما يكشف عن نزعتة الفنية التي أخذت في النمو بعد ذلك ، كما استطاع أن يدل على لَمَاحِيَّتِهِ الخاطفة التي تبدو في كثير من شعره ، وذلك في قوله حين أطلق سهمه على الذئب فأصاب قلبه ، فكان سريع اللحم حين قال — في صديق تعبير — معناه الذي يصور ما في أعماق القلوب من نوازع متضاربة بقوله : « بحيث يكون اللبُّ والرُّعبُ والحقُّدُ » .

* * *

وكما رأينا البحترى يخترن في ذاكرته مشاهد مرَّت بحياته كصورة إحرام الحجيج فشبه بهم تجرُّد الأشجار من أوراقها في الخريف ، نراه يختزن من البادية مشاهد كثيرة ، فهو حين يصف المعركة البحرية التي خاضها العرب مع أسطول الروم (في القصيدة ٣٨٧) يرتدُّ بخياله إلى البادية وهو يشبه ضجيج البحرين رماح المحاربين بترديد صوت المسَّين من الإبل فيقول :

كَأَنَّ ضَجِيجَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيْعُ عَوْدٍ مُجَرِّجٍ
ويرتد خياله أيضاً مرة أخرى إلى البادية وهو يصف رحلته إلى العراق في قوله
(من القصيدة ٢٧) :

وَرَمَتْ بِنَا سَمْتَ الْعِرَاقِ أَيْانِقُ سُحْمُ الْخُدُودِ لُغَامُهُنَّ الطُّحْلُبُ
من كُلِّ طَائِرَةٍ بِخَمْسٍ خَوَافِقٍ دُعِجٍ كَمَا ذُعِرَ الظَّلِيمُ الدُّهْدَبُ
يَحْمِلُنَ كُلُّ مُنْمَرِّقٍ فِي هِمَّةٍ فَضْلٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَاءُ السَّبَبُ

فهو يشبه السفن التي حملته ومن معه بالشوق . ويشبه الطحلب العالق بها من
طول مكثها في الماء بالزبد الخارج من أفواه الإبل ، ثم يصف هذه السفن بأنها
سود الحدود لأنها مطلية بالقار . ثم يصف بعد ذلك سرعتها فيقول إنها تطير
بخمس خوافق أي أربعة مجاديف وقائم الشراع . ويشبهها بالظليم الذي هو ذكر
النعام حين يتجفل من الفرع .

• • •

وكلنا نعرف ولعه بوصف الخيل وطيف الخيال . وقد افتن في هذا الباب
حتى ضُربَ المثلُ بوصفه لهما ، ولكنَّ للبحري ولعاً آخر لا يقل عن
ولعه بوصف الخيل وطيف الخيال ، ذلك هو وصف الحركة والسرعة وصفاً يبلغ
فيه حدَّ الإبداع ، فهو يدير المعاني في هذا الباب بما يتفق مع كل ضرب من
ضروبه . فحين يصف فرار قائد الروم في قصيدته التي وصف بها المعركة البحرية
(القصيدة ٣٨٧ التي أشرنا إليها) يقول :

مَضَى ، وَهُوَ مَوْلى الرِّيحِ ، يَشْكُرُ فَضْلَهَا عَلَيْهِ ؛ وَمَنْ يُولِ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرُ
تَعَلَّقَ بِالْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بَعْدَ مَا تَنَقَّصَهُ جَرَى الرَّدى الْمُتَمَطِّرِ

فقد جعل هذا القائد الهارب عبداً للريح التي ردت له الحياة حين أسلم
إليها شراع متركبه حتى وصل إلى الشاطئ فتعلق بالحياة من جديد ، ولكن بعد
أن ترك الردى الذي لاحقه آثار المعركة في نفسه : مرارات خيزى : وفي جسده :
طعنات رماح .

وحين يصف فرار لؤلؤ من ابن طولون يقول (القصيدة ٣٩) :

تَخَطَّأَ عَرْضَ الْأَرْضِ رَاكِبٌ وَجْهَهُ لِيَمْنَعَ مِنْهُ الْبُعْدُ مَا يَبْذُلُ الْقُرْبُ
يُحِبُّ الْبِلَادَ ، وَهِيَ شَرْقٌ لِشَخْصِهِ ؛ وَيُذْعِرُ مِنْهَا وَهْيَ مِنْ فَوْقِهِ غَرْبُ
إِذَا سَارَ سَهْبًا عَادَ ظُهُرًا عُدُوَّهُ وَكَانَ الصَّدِيقَ غُدُوَّهُ ذَلِكَ السَّهْبُ

فهو يصف تفرُّع هذا الهارب الذي يتملكه الهلعُ من كل صوب ، يحبُّ ما أمامه من السُّهوب لأن فيها أمل النجاة وهو مسرع لا يلوى على شيء حتى إذا قطع منها سهبًا . أى مفازة ، وخلفه وراء ظهره أصبح هذا السهبُ المتخلفُ عدُوًّا له لأنه يتبعه من خلفه كما يتبعه العدوُّ الذى يلاحقه ، فى حين أنه كان يرى — فى أول النهار حين بدأ الفرار — كلَّ سَهْبٍ أمامه صديقًا يفتح له أبواب النجاة .

أما الحركة فى الحروب فنصوَرُها تختلف فى معانيها عن صَوَرها فى الهروب كقوله (فى القصيدة ١) يصف اندفاع الأبطال المحاربين إلى حومة الوغى كالفراش برتنى فى النار :

وَعَصَمَائِبُ يَتَهَاَفَتُونَ إِذَا أَرْتَمَى بِهِمُ الْوَغَى فِي غَمْرَةِ الْهَيْجَاءِ
مِثْلُ الْيَرَّاعِ بَدَتْ لَهُ نَارٌ ، وَقَدْ لَمَنَّتْهُ ظُلْمَةٌ لَيْلَةٌ لَيْلَاءِ
يَمْشُونَ فِي زَغْفٍ كَأَنَّ مُتُونَهَا فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ مُتُونُ نِهَائِ
بِيضُ نَسِيلٍ عَلَى الْكُمَاةِ فُضُولُهَا سَبِيلَ السَّرَّابِ بِقَفْرَةٍ بَيِّدَاءِ
فَإِذَا الْأَسِنَّةُ خَالَطَتْهَا خَلَّتْهَا فِيهَا خَيَالٌ كَوَاكِبٍ فِي مَاءِ
أَبْنَاءُ مَوْتٍ يَطْرَحُونَ نَفُوسَهُمْ تَحْتَ الْمَنَایَا كُلَّ يَوْمٍ لِقَاءِ

وحين يصف انتهاء معركة تبدد فيها شمل النافرين يقول (فى القصيدة ٦٣) :

وَكُنْتُمْ شِعَاعًا مِنْ طَرِيدٍ مُشَرَّدٍ ، وَثَاوٍ رَدٍ ، أَوْ خَائِفٍ مُتَرْقِبٍ
وَمِنْ نَفَرٍ فَوْقَ الْجُدُوعِ كَأَنَّهُمْ إِذَا الشَّمْسُ لَاحَتْهُمْ حَرَابٌ تَنْضِبِ

ويصف كذلك معركة ابن مُصْعَب مع الخُرَمِيَّةِ أتباع بابتك فيقول (فى القصيدة ٢٧ الى أشرنا إليها) .

فُجْدَلٌ ، وَمُرْمَلٌ ، وَمُوسِدٌ ، وَمُضَرَّجٌ ، وَمُضَمَّخٌ ، وَمُخَضَّبٌ
سَلَبُوا ، وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَّةٌ : فكأنهم لم يسلبوا
وقد قال أبو هلال العسكري في كتاب «الصناعتين» إن لفظة (مُحْمَرَّة)
حَشَوٌ . ولو تنبّه إلى قول الشاعر قبل ذلك بأبيات في هذه القصيدة
ذاتها :

تِلْكَ الْمُحْمَرَّةُ الَّذِينَ تَهَافَتُوا فَمُشَرَّقٌ فِي غَيْهِ وَمُغْرَبٌ
لَمَّا قَالَ ذَلِكَ ؛ لأن البحترى يشير في هذه اللفظة إلى شعار هؤلاء المحمرة —
— أتباع بابلك — وهو اللباس الأحمر فيقول إن دماءهم قد كَسَتْهُمْ فكأنهم
لا يزالون في شعارهم الأحمر لم يسلب عنهم .
أما الحركة في الرحلات فتبدو في صورة أخرى مختلفة عن تلك الصور في قوله
(في القصيدة ٥٤٧) :

أَزَاجِرُ أَنَا جُرْدُ الْخَيْلِ أَجْشَمُهَا سِيرًا إِلَى الشَّامِ إِغْدَا وَإِيجَافَا
دَوَافِعُ فِي أَنْخِرَاقِ الْبَرِّ مَوْعِدُهَا مَدَافِعُ الْبَحْرِ مِنْ بَيْرُوتَ أَوْ يَافَا
حَتَّى تَحَلَّ ، وَقَدْ حَلَّ الشَّرَابُ لَنَا جَنَاتِ عَدْنٍ عَلَى السَّاجُورِ أَلْفَافَا
وقوله (في القصيدة ٢٤٣) :

تَقَازَفُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَادِي كَأَنِّي بَيْنَهَا خَبَرٌ شَرُودُ

• • •

هذه لمحات سريعة لبعض المعاني التي جسّمها لنا البحترى ، واستطاع أن
يصورها لنا مَجْدُودَةً في الديباجة المشرقة التي وقف عندها الأقدمون معجبين
أو ناقدين ، ولم يتعمّقوا الصور ليسبروا الانفعالات النفسية التي كان البحترى
ينفضها على الورق بين لفظ عذب وصياغة متأنقة .

وفي الحق أن الرجل كان فناناً ماهراً استطاع بوترٍ موسيقيٍّ وريشة رسّام
أن يترك لنا لوحاتٍ رائعة الجمال : فلقد كان اللفظ مطواعاً له يؤلف بين

حروفه في البيت بما يعبر عن الجو الذي يريد تصويره . وهذا ممثّلٌ من قوله
(في القصيدة ٣٨٧) :

يُسَوِّقُونَ أَسْطُولًا ، كَأَن سَمِينَهُ سَحَابٌ صَيْفٍ مِنْ جَهَامٍ وَمُطِيرٌ
كَأَن ضَجِيجَ الْبَحْرِ بَيْنَ رَمَاحِهِمْ إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيعُ عَوْدٍ مُجْرَجِرٌ
تُقَارِبُ مِنْ زَحْفِيهِمْ ، فَكَأَنَّمَا تُؤَلِّفُ مِنْ أَغْزَاقٍ وَخَشٍ مُنْفَرٍ
فَمَا رِمْتُ حَتَّى أَجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْ طُلَى مُقَطَّعَةٍ فِيهِمْ ، وَهَامٍ مُطِيرٍ

فحرف السين قد احتلّ مكانه في البيت الأول ليعطينا صورة ناطقة لسير
الأسطول ، ثم يتقدم حرفا الجيم والحاء في البيت الثاني وقد تراقص بينهما حرف الراء
ليعطوا جميعاً صورة الضجيج والحركة ، ثم حرفا القاف والفاء في البيت الثالث
ليعطيا صورة الإقدام والاندفاع . ويختم البيت الرابع بحرفي الطاء والميم ليقدما
صورة لتطير الأشلاء بعد هذا التطاحن ، وللدّم المهرّاق ، ثم للموت المخيم على
ميدان المعركة . وفي خلال ذلك يعمل حرف الراء عمله في تصوير اضطراب الأمواج
والصراع المرير .

ويمثّل سبّير المطيّ في الفياثي بحروف السين والطاء والفاء ، ثم يمثل رمال
هذه الفياثي ولُغوب المطيّ وكلالها في هذه الرحلة بحرف اللام ، وذلك في
جترس متناسق بين هبوط وصعود . ويختار لهذا كله البحر الطويل ليتمّ التناسق
بين أجزاء الصورة ، وذلك في قوله (في القصيدة ٦٣٦) :

قِفِ الْعَيْسَ قَدْ أَذْنَى خُطَاهَا كَلَالُهَا وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا
وَمَا أَعْرِفُ الْأَطْلَالَ مِنْ بَطْنٍ تَوْضِيحٍ لِطُولِ تَعَفِّيْهَا ، وَلَكِنْ إِخَالُهَا
ونستمع إليه يمثل بحرف السين حالته النفسية والسأم واليأس اللذين كانا قد
استوليا عليه ، والأسى الملازم له ، ثم الرغبة في التأسّي عما أصابه من أحداث ،
والسموّ على هذه الأحداث في قوله في إيوان كِسْرَى ملك الفُرس (القصيدة ٤٧٠) :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنُّسُ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبْسٍ
وَمَا سَكْتُ حِينَ زَغَزَعَنِي الدَّهْرُ رُ الْتِمَاسًا مِنْهُ لِتَغْيِي وَنَكْسِي

وقوله :

أَنْسَلَى عَنْ الْحُظُوظِ وَآسَى لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَمَاسَانَ دَرَسِ

وكأنه وجد لهذه السين محلاً ثابتاً في اسم صاحب الإيوان وفي اسم شعبه ،
فتمَّ الانسجامُ بين أجزاء الصورة . وبهذا الجهرُوس الذي بزَّ به البحرىُّ غيره
من الشعراء استطاع أن يعطى معانيه قوة مستمدة من أعماق نفسه ، وأن يصل بها
إلى أعماق نفوس الآخرين . وصدق حين قال (في القصيدة ٣٧٩) :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَافِي مِنْ مَمَاطِعِهَا وَمَا عَلَى لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ

فحرف القاف هنا لم يجرى عجباً أو اعتباطاً ، وإنما جاء ليمثل الدور الذي
يقوم به البحرى في قوة واقتدار في قطع الصخور — شأنَ الفنانِ المقتدر — ليخرج
منها في دِقَّةٍ ورِقَّةٍ تماثيله الخالدة .

ومقدرة البحرى في هذا الباب عجيبة تدل على علم بعيد الغور بمعاني
الحروف ، وفنية بارعة في التأليف بينها ، فهو يجمع بين الأحرف المتقاربة
حتى لا تحس الأذن تناقضاً إذ يجعل من وشائج القُرْبَى بين هذه الحروف أساساً
يرتكز عليها فنُّه كما فعل في السين والشين والصاد والضاد حين أظهرها مجتمعة
متآلفة ، ثم أخذ من الجهرُوس القريب بين السَّين والثاء ، وبين الضاد والذال ،
وسيلة لإظهار هذين الحرفين في فترات متباعدة وسط هذا الموكب الموسيقي البديع في
قوله (القصيدة ٤٨٢) :

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْأَبْسِيهِ وَبَيَّضَا	وَنَضَا مِنَ السُّتَيْنِ عَنْهُ مَا نَضَا
وَشَاهُ أَغْيَدُ فِي تَصَرُّفٍ لَحْظِهِ	مَرَضُ أَعْلَ بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضَا
وَكَأَنَّهُ أَلْفَى الصَّبَا وَجَدِيدُهُ	دَيْنَا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُنْمَتَضَى
أَسْيَانُ أَثَرِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ	وَأَسَافَ مِنْ وَضَلِ الْحِسَانِ وَأَنْفَضَا

وتبدو هنا هذه المقدرة في بساطة ورقّة في قوله (القصيدة ٨٤٦) :

أَرَقَّ أَلْعَيْنَ أَنَّ قُرَّةَ عَيْنِي فَرَفَّتْ بَيْنَهُ اللَّيَالِي وَبَيْنِي

فمثل الأرق بحروف هذه اللفظة موزعةً توزيعاً عجيباً في ألفاظ البيت كله .
ثم ترك لحرف النون . وهو متردد بين الألفاظ تمثيل النوم المشرّد . ثم تمثيل البين
دون أن ترد لفظة « البين » بمعناها الأصل .
وأمثلة ذلك من تصوير المعاني بالحروف كثيرة في شعر البحري أردت أن
أجتريّ بالقليل منها هنا .

• • •

أما معانيه في الوصف . إن اشترك فيها مع شعراء معاصرين له أو سابقين
فهى تمتاز بحسن السبك . وتتابع أجزاء الصورة : وبخاصة في وصف مظاهر
الطبيعة . ومن يستمع إلى شعره في هذا الباب يحس اقتتان الشاعر بهذه المظاهر ،
وشعوره بأن بينه وبين الربيع وشائج قُرْبَى : فهذا بالألوان يرصف الزهر ، وهذا
بالألحان يرصف الشعر : في عذوبة ورقّة : وإحكام ودقّة .

الديوان

لم يظفر ديوان البحترى - على قوة شاعريته - بما ظفر به ديوان أبي تمام عند الأقدمين من كثرة الجمع والشرح والتعليق . وقد ظل شعره غير مرتَّب حتى جاء أبو بكر محمد بن يحيى الصُّبُلِيّ (المتوفى سنة ٥٣٣٥هـ) فجمعه في مجلدين - كما قال ياقوت الحمويّ في « معجم الأدباء » (١٩ : ٢٥١) - ورتَّبه على حروف المعجم . وجمعه على بن حمزة الأصفهانيّ (أبو الحسن على بن حمزة ابن عمارة بن حمزة بن يسار بن عثمان ، المتوفى سنة ٥٣٧٥هـ) ورتَّبه على الأنواع كما صنع بديوان أبي تمام .

وعلى الرغم من أن « ياقوت » قد ذكر في ترجمته للبحثائي أنه اطلع على شرح لديوان البحترى ؛ فإننا لم نجد فيما بقي لنا من التراث العربي شرحاً كاملاً أو تعليقيّاً على كل شعره سوى كتاب « عبث الوليد » الذي وضعه أبو العلاء المعريّ (المتوفى سنة ٤٤٩هـ) وأثبت فيه ما أصلحه من الغلط الذي وجد في النسخة التي قرئت عليه وكان مكتوباً في آخرها أنها بخط ظفر بن عبد الله العيجليّ ؛ وقال « ولم يمكن إثبات جميع الأغلاط لأن أكثرها غير مُخِلّ » .

على أن لكتاب « عبث الوليد » - وإن لم يكن تعليقيّاً كاملاً أو شرحاً بمعنى هذه الكلمة - الفضل في توجيهنا نحو البحث عن شعر البحترى الذي لم ينشر في طبعات ديوانه .

فهذا ياقوت يذكر في « معجم الأدباء » (٨ : ٨٥) حين يترجم لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمديّ (المتوفى سنة ٥٣٧١هـ) من بين مؤلفات الآمديّ بعد ذكر كتابه « الموازنة بين أبي تمام والبحترى » أن له كتاباً عنوانه « معاني شعر البحترى » ، وكذلك يذكره السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى سنة ٩١١هـ) في « بغية الوعاة » (٢١٨) .

وحين يترجم ياقوت لأبي جعفر محمد بن إسحاق بن عليّ البَحَّاثي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ بغزنة (من مدن أفغانستان الآن) يقول (معجم الأدباء ١٨ : ٢٢) : « ولم أر من تصانيف البحاثي هذا شيئاً إلاّ ” شرح ديوان البحترى “ ، ولعمري إن هذا شيء ابتكره . فإني ما رأيت هذا الديوان مشروحاً . ولا تعرّض له أحد من أهل العلم ، ولا سمعت أحداً قال : إني رأيت ديوان أبي عبادة البحترى مشروحاً . وتأمّلته فرأيت أنه قد ملئ علماً . وحشياً فهماً ؛ وذلك أن شروح الدواوين المعروفة كأبي تمام والمتنبي وغيرهما تساعدت القرائح عليها وترافدت الهمم إليها ؛ وما أرى له فيما اعتمده من شرح هذا الكتاب عمدة إلاّ أن يكون كتاب ” عبث الوليد “ للعرّى وكتاب ” الموازنة “ للآمدي لا غير . »

وفي ترجمة أبي حكيم عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن حكيم الخبيري ، نسبة إلى « الخبّر » من قرى شيراز بفارس ، والمتوفى ببغداد سنة ٤٧٦ هـ . قال ياقوت (معجم الأدباء ١٢ : ٤٧) والسيوطي (بغية الوعاة ٢٧٦) إن الخبيريّ شرح الحماسة وديوان البحترى وعدة دواوين أخرى . وجاء في تلخيص ابن مكتوم (٨٨) وهو يترجم للخبيريّ أنه شرح الحماسة ودواوين البحترى والمتنبي والارضى الموسويّ .

[وفي ترجمة علي بن زيد البيهقيّ المتوفى سنة ٥٦٥ هـ ذكر ياقوت أن له كتاب « شرح البحترى وأبي تمام » .

ولكننا لم نظفر بشيء من شروح الآمديّ والبحّاثي والخبيريّ [والبيهقيّ] . ويذكر بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربي » (١ : ٥١ الترجمة العربية طبع دار المعارف) أنه يوجد شرح قصائد للبحترى وأبي تمام في مكتبة عاشر أفندي برقم ٩٨٥ .

طبقات الديوان السابقة

أما طبقات الديوان السابقة لطبعتنا هذه فهي ثلاث :

• الأولى : طبعت بمطبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) وهي في جزأين : الأول وعدد صفحاته ٢٥٩ ؛ والثاني وعدد صفحاته ٢٦٠ . وقد بلغ عدد قصائد هذه الطبعة ٥٦٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١١٩٨٩ بيتاً .

وقد طبعت على المخطوطة المحفوظة بمكتبة كوبريللي بالآستانة برقم ١٢٥٢ وهي بخط علي بن عبيد الله الشيرازي كتبها بمدينة تبريز سنة ٤٢٤ هـ . وقد وصفناها عند الكلام على مخطوطات الديوان ورمزنا لها بحرف (ا) .

وهذه الطبعة غير مضبوطة بالشكل ولم تظهر بعناية في التصحيح فهي محشوة بالأخطاء والتصحيح والتحريف على الرغم من أن المخطوطة التي نقلت عنها مضبوطة تمام الضبط . دقيقة خالية إلا في النادر من التصحيح والتحريف . ولم ترتب قصائدها على حروف المعجم . ولكنها - كالمخطوطة التي نقلت عنها - مرتبة بأسماء الأشخاص الذين وجهت إليهم القصائد ؛ كما سنبين ذلك عند الكلام على المخطوطة التي طبعت عليها .

• الثانية : طبعت في بيروت في المطبعة الأدبية سنة ١٩١١ ، وهي مضبوطة بالشكل الكامل . وعلّق حواشيها الشيخ رشيد عتيّة وهي في جزأين عدد صفحاتهما ٧٩٩ منقولة عن طبعة الجوائب .

وقد ذيلها شارحها بكلمة ردّ فيها على ما جاء في مجلتي (المقتبس) و (المشرق) حين ظهر الجزء الأول من طبعته . فإنّ مجلة (المقتبس) أخذت عليه حذفه طائفة من أبيات الديوان وكان واجب الأمانة يقضي بإبقائها ؛ أما مجلة (المشرق) ، فقد ودّت لو أن الشرح تناول معاني الأبيات برمّتها ولم ينحصر في الألفاظ فقط ، وأن تجعل للديوان فهرس للأعلام وغيرها ، وأن يبسط قبل كل قصيدة السبب الذي دعا الناظم إلى نظمها . فقال الشارح ردّاً على هذا إنه

يعجب من أن تعتمد مجلة (المقتبس) إلى هذا المآخذ في حين أن المحذوف من الأبيات إنما هو منافع الأدب في لفظه ومعناه .

وقال عن رغبة مجلة (المشرق) إنه لم يقتصر في الشرح على الألفاظ : بل تعداها في مواضع كثيرة إلى شرح الأبيات وإيضاح النكات النحوية وما دعا إليه السياق من الفوائد اللغوية ، واعتذر بأنه لو توسّع في الشرح وأعدّ الفهارس المطلوبة لجاء الكتاب مضاعفًا في الحجم والشم .

وبلغ عدد قصائد هذه الطبعة ٥٤٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١١٥٨٥ بيتًا .
وهي كطبعة الجوائب في ترتيب قصائدها .

وهذه الطبعة لم تسلم من أخطاء كثيرة في الضبط ، وبُعْدٍ في الشرح عن المعنى الذي رمى إليه الشاعر ، وحذف للأبيات التي يغمرها معناها . ولم نتصدّ إلى التنديد بأخطائها تاركين للقارئ بالمراجعة بين شرحنا وذلك الشرح أن يتبين هذا البعد ، شاكرين للشارح الفاضل جهده الذي بذله . وحسبنا أن نكون قد قمنا عنه ببعض العبء في تصحيح ما أخطأ فيه وتوضيح ما غمض عليه . ولكنا نجد لزامًا علينا أن نشير إلى طُرْفٍ قلائل من هذه المآخذ لنعطى القارئ صورة سريعة تبصره ببُعد تلك الطبعة في المعنى عما قصده الشاعر :

من ذلك تفسير « صامتى » في البيت ١٦ من القصيدة ٢ بأن « الصامتى صاحب فضة وذهب » (طبعة بيروت صفحة ٧١٣) ، والصحيح أنه نسبة إلى الصامت وهو من بني عمرو بن العوث بن طيئ .

والبحتري يردد كثيراً لفظي الصامت والصامتى حين يمدح أبا سعيد الثغري الطائي وآل حميد الطائيين لأنهم يرجعون بالنسب إلى الصامت .

قول الشاعر « كأن لم يَرَوْا سَيْمًا الطويلَ وَجَمْعَهُ » (البيت ٢٤ من القصيدة ٣٩ صفحة ١٢٥ في طبعتنا) جاء مضبوطًا في طبعة بيروت صفحة ٥٢٢ « سَيْمًا الطويلِ » وفُسِّرَ بأن « سيما : شارة ونخيلة وعلامة » في حين أن سيما الطويل اسم قائد حاربه ابن طولون ، والبحتري فيه هجو ومدح .

جاءت لفظة « العَمَقُ » الواردة في البيت ٣٥ من القصيدة ٢٢٩ وهي كُورٌ

بنواحي حلب وكانت أولاً من نواحي أنطاكية (انظر صفحة ٥٤٨ من طبعتنا)
مضبوطة في طبعة بيروت صفحة ٤٦١ « العمق » ولم يشرحها ناشر تلك الطبعة .
شرح قول الشاعر في البيت ١٨ من القصيدة ٥٠٦ : « إذا اعترض الخابور
دون جياذنا » بأن « الخابور شجر » (طبعة بيروت ٣٠٥) والحقيقة أنه هنا يشير
إلى نهر الخابور .

شرح قول البحري ١٠ من القصيدة ٤٩٦ « بقُطْرِبُلْ أعلاجُهُ وأنابطُهُ »
فقال « الأعلاج : الحمير . والأنابط من الخيل : ما يكون تحت آباطها وبطونها
بياض » (طبعة بيروت ١٨٠) . والصحيح أن الأعلاج جمع العلوج لفظ يطلق
على الأعاجم ، والأنابط هم النبط قوم أيضاً .

ورد البيت ٣ من القصيدة ٧٥٢ (صفحة ٣١٦ بيروت) هكذا :
نسيتُ موقفَ الجِيسَارِ وشخصاً نا كشخص أرى الجمار وترمى
وشرحه قائلاً : « نا : لعله يريد كنا » . والصحيح « شخصانا » ويريد أنهما
كانا ملتصقين فكأنهما شخص واحد .
وغير ذلك كثير ، لا نريد حصره ولا تتبعه . ولكننا نريد كما ذكرنا توجيه
لمحة خاطفة .

● الثالثة : طبعت في القاهرة بمطبعة هندية بالموسكى سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) .
وجاء في صفحتها الأولى أنها منقولة عن نسخة مشكولة قديمة كتبت في سنة ٨٤٢٤هـ
بخط عليّ بن عبد الله الشيرازي ، أي أنها منقولة عن طبعة الجوائب . ولكنها
تختلف عن تلك الطبعة من حيث ترتيب القصائد ، فقد جاء كذلك في صفحتها
الأولى أنها « مرتبة على حروف الهجاء » ، وأنها « قُوبِلَتْ على نسخة خطية
بالكتبخانة الخديوية » ، ولم يُذكر رقم هذه المخطوطة التي قُوبِلَتْ عليها ، وذكر
على هذه الصفحة أن الذي وقف على طبعتها وضبطها وتصحيحها المرحوم
الشيخ عبد الرحمن البرقوقي .

ومن المقدمة التي أُلْحِقَتْ بهذه الطبعة يتبين لنا أنها روجعت على المخطوطة
رقم ٢٧ م المحفوظة بدار الكتب المصرية والتي رمزنا لها بحرف « ي » (راجع

وصفنا لها فيما بعد) وهي مخطوطة مشحونة بالتحريف والتصحييف وفي أولها مقدمة تشمل على أخبار البحري منقولة مما جمعه الصُّولي من أخباره مع أخبار أخرى واردة في بعض الكتب التي ترجمت للشاعر ، وهي الملحق بأول تلك الطبعة . ولما رجعنا إلى هذه المخطوطة وجدنا أن تلك الطبعة لم تستفد بكل ما في هذه المخطوطة من زيادات ، فقد أضافت شيئاً ، وتركت شيئاً .

على أنه مما يؤسف له أن هذه الطبعة جاءت مشوّهة أشد التشويه ، محرفة أفصح التحريف ؛ وليست مضبوطة ولا مذيّلة بأقلّ تفسير أو شرح . وقد نقصت منها بعض قصائد موجودة في الطبعتين السابقتين ، ولكنها زادت عليهما بعض قصائد أخرى .

ولقد بلغ عدد قصائد هذه الطبعة ٦١٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١٢٣٠٣ أبيات .

طبعتنا

أمّا طبعتنا هذه فقد راجعناها على خمس عشرة مخطوطة صورتها من باريس والآستانة وهال (ليبزج) وميونخ بألمانيا والمدينة المنورة والقاهرة . وهذه المخطوطات يختلف بعضها عن بعض في الرواية والدقة في تلك الرواية . كما يختلف بعضها عن بعض في النقص أو الزيادة في عدد القصائد وعدد الأبيات ، بل في ترتيب الأبيات كذلك ، وأحياناً في مناسبة القصيدة

وقد اخترنا من هذه المخطوطات واحدة جعلناها أمّا . وأخذنا بترتيبها . وهذه النسخة التي اخترناها هي المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس برقم ٣٠٨٦ ، وهي أقدم مخطوطة وقعت لنا من الطبقة رُتبت فيها القصائد على حروف المعجم ؛ إذ يرجع تاريخها إلى سنة ٦١٠ هـ .

وهذه المخطوطة على ما فيها من ميزة الزيادة في عدد القصائد ناقصة ، فقد وجدنا في المخطوطات الأخرى قصائد لم ترد في هذه المخطوطة التي اتخذناها أمّا ، فألحقنا في نهاية كل قافية ما وجدناه في كل نسخة حسب أقدميتها .

* * *

وقد بلغ عدد قصائد طبعتنا ٩٣٣ قصيدة ومقطوعة تضم ١٥٩٥٠ بيتاً ، أي بزيادة ٣٧٢ قصيدة ومقطوعة عن طبعة الجوائب ، و ٣٩٣ عن طبعة بيروت ، و ٣٢٣ عن طبعة مصر .

أما من حيث عدد الأبيات فإن الزيادة في طبعتنا بلغت كالاتي : ٣٩٦١ عن طبعة الآستانة ، و ٤٣٦٥ عن طبعة بيروت ، و ٣٦٤٧ عن طبعة مصر .

* * *

هذا غير اللّحق الذي ضمّ طائفة كبيرة من الأبيات نُسبت للبحر في عدد من كتب الأدب ، ولكننا لم نجد لها في مخطوطات الديوان ، فأثبتناها وفاء لواجب الأمانة العلمية ، وإن كنّا نشكُّ في نسبة الكثير منها لشاعرنا .

وَتَمَنَّةَ لَحَقَّ" آخر يضم القصيدتين اللتين هجا بهما عبید الله بن عبد الله بن طاهر أبا عبادة البحرى . وقد أشرنا إلى هاتين القصيدتين وقصتهما فى صفحة ٢٠٧ .

• • •

وقد نختلنا الديوان بعدد من الفهارس الفنية التى تكشف عن ثروة هذا الشاعر اللغوية والعلمية والتاريخية ، والى تفتح للقارئ مغاليق الديوان ، وتعينه على تعرف معالم هذه الشاعرية الفذة .

• • •

وكان منهجنا فى تحقيق هذا الديوان منحصراً فيما يلى :

١ - مراجعة نصوص المخطوطات جميعها فى كل بيت ومتابعتها بعضها ببعض ، ثم إثبات ما تتفق عليه أغلبية النسخ إذا كان نص المخطوطة الأم « ب » بعيداً عن طبع البحرى .

٢ - إثبات ما فات النسخة الأم من أبيات فى مواضعها .

٣ - الإشارة أيضاً إلى الاختلاف فى روايات النسخ .

٤ - تركنا بعض الأبيات التى انفردت بها بعض النسخ وتعذر علينا تقويمها أو تبين وجهها الصحيح على حالها . معتبين فى الحواشى على ما نرى وجه الصواب فيه حتى لا نتحكم فى وجهه قد يكون بعيداً عن تقديرنا .

٥ - أضفنا فى نهاية كل قافية ما ورد من قصائد أو مقطوعات فى النسخ الأخرى مما لم يرد فى النسخة الأم ، وراعينا فى إثبات ذلك أقدمية كل مخطوطة ، مشيرين إليها برمزها .

ثم أتبعنا اختلاف الروايات فى الحواشى بشرح الكلمات أو توضيح المعنى إذا وجدنا ما يدعو إلى ذلك ، ثم شرح الحادث التاريخى الذى يشير إليه البيت ، والتعريف بالأعلام والأمم والقبائل والعقائد والمذاهب والميل والنحل وما يتصل بها من مراسيم وأزياء ، والأعياد والأيام المشهورة والوقائع والحروب وما يتصل بها من سلاح وأدوات ، والمواضع من بلدان وأنهار وجبال وآثار وما يشبه ذلك ، ثم

ما يتصل بالإنسان في حياته الاجتماعية من وظائفه ومجالات عمله وأنسه ولهوه وشرابه وزينته ولباسه ، وما يصيبه من آفات أو علل ، ثم كل ما يتصل بالظواهر الطبيعية في الأرض والسماء ، والحيوان والطير والزهر والمعادن والأحجار ، وما يتعلق بهذا كله . وأشرنا إلى ما ضمه البحتري في شعره من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أبيات شعر أو حِكَم وأمثال .

ثم أتبعنا ذلك جميعه بسرد تاريخي لنصوص أبيات البحتري في كتب الأدب المختلفة حسب أقدمية كل كتاب ليقوم أمام القارئ موكب تاريخي نابيت وروايته على مرّ العصور ؛ فإذا اتفق النص في كتب الأدب مع رواية البيت اكتفينا بذكر المصدر وحده والصفحة التي جاء فيها . أما إذا اختلف النص ذكرنا الرواية التي ورد بها في ذلك المصدر ؛ كما أتبعنا الإشارة إلى ورود النص في تلك الكتب إذا جاء فيها غير منسوب له أو منسوباً لغيره . وقد بذلنا ما استطعنا من جهد في مراجعة العدد الضخم من كتب الأدب والتاريخ التي لم تنفهرس لنستخرج منه ما ورد من شعر البحتري مقلّبين صفحاتها صفحة صفحة لنلّم قدر الإمكان بما فيها من هذا الشعر منسوباً أو غير منسوب . ولا أريد أن أكون مبالغاً فأقول إنني استوفيت هذا الباب تمام الاستيناء . فقد يكون هناك بعض أبيات وردت في بعض الكتب فإني إثباتها أو غائبي الاطلاع عليها في بعض كتب ما زالت مخطوطة .

• • •

وقد قدمنا حواشي القصائد بذكر موضع كل قصيدة في طبقات الديوان الثلاث وبيان ما في كل منها من نقص في عدد الأبيات ، ثم نعقبه بذكر ورود القصيدة في أي من المخطوطات التي رجعنا إليها ، ثم الترجمة للشخصية التي وجهت إليها القصيدة .

ثم ثبت المحاولة الشاقة التي أضمتنا في تحقيق هذا الديوان ، وهي محاولة التأريخ للقصائد ؛ فقد استقرينا قصائد الديوان جميعها من واقع الحوادث التي يشير إليها الشاعر ، وقد يتفق أن يذكر حوادث قديمة اشترك فيها الممدوح في حين أن القصيدة لا ترجع إلى تاريخ تلك الحوادث ، وإنما استطرد الشاعر في الحديث

عنها ، وهو يذكر بطولة ممدوحه فنحاول التعمق في حياة الممدوح وصلة الشاعر به لنصل إلى التاريخ الحقيقي لنظم القصيدة . وفي أحيان أخرى كنا نجعل ألفاظ الشاعر التي يستعملها ويتردد ورودها على لسانه وقلمه وتراود خاطره في حقبة من الزمن أساساً نركز عليه في تحقيق تاريخ هذه القصائد .

أما القصائد الغزلية فقد أرجعناها إلى مرحلة الصبا^(١) ، وهي الحقبة التي جعلنا نهايتها سنة ٢٢٠ هـ أي حين كان الشاعر في السادسة عشرة من عمره على أساس أن ميلاده كان في عام ٢٠٤ هـ . حيث اختلف في تاريخ ولادته . فقد جاء في « معجم البلدان » في مادة « حُرْدُفْنَة »^(٢) أنها من قُرى منبج من أرض الشام ، بها كان مولد أبي عبادة الوليد بن عبّيد البحرى الشاعر في سنة ٢٠٠ في أول أيام المأمون وهو بخراسان . وقال ياقوت : « ذكر ذلك أبو غالب همام بن الفضل ابن المذهب المعري في تاريخ له » . ثم قال : « وقال غير ابن المذهب : ولد البحرى في سنة ٢٠٥ ، ومات سنة ٢٨٤ » . ومنهم من ذكر أنه ولد سنة ٢٠٤ وقد أخذنا بهذا ، ومنهم من قال سنة ٢٠٥ ومنهم من قال سنة ٢٠٦ . كما اختلف في وفاته فقليل سنة ٢٨٣ ، وقليل سنة ٢٨٤ ، وقد أخذنا بهذا . وقليل سنة ٢٨٥ هـ .

وقد بلغ عدد القصائد التي لم نستطع تحديد تاريخ قاطع لها حوالى ٥٠ قصيدة ومقطوعة من ٩٣٣ قصيدة ومقطوعة هي مجموع شعر الديوان .

(١) راعينا في هذا التحديد ضعف هذه القصائد وسذاجتها .

(٢) ذكرها ابن خلكان في ترجمة البحرى فقال « زردفنة » ثم ضبطها بالمعجمة فقال : « بفتح الزاي ، وسكون الراء ، وفتح الدال المهملة وسكون الفاء ، وفتح النون ، وبمدها هاء ساكنة ، وهي قرية من قرى منبج بالقرب منها » .

مخطوطات الديوان

لديوان البحترى عدد ضخم من المخطوطات عرفنا منها أربعين مخطوطة موزعة في أنحاء العالم ، تتفاوت استيفاء لشعره أو نقصاً ، كما تتفاوت في أعمارها بين القديم والحديث .

وقد ذكر المستشرق الكبير الدكتور كارل بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربى » هذه النسخ التى نذكر أماكن وجودها وأرقامها كما يلى :

بريل	٢١٦	يكى جامع	٩٤٦	مشهد	٢٧
لیدن	٦١١	فينّا	٤٥٠	لاله لى	١٧٣٣
كوبربلى	١٢٥٢	باريس	٣٠٨٦	عاشر أفندى	٨١٩
ميونخ	٥٠٨	حميدية	١٠٨٤	عمومية	٥٦٩٤
بترسبورغ	٢٦٧		١٢٠٧		

وقد تفضل الأخ الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب حين كتبتُ إليه وهو فى تركيا عام ١٩٤٩ طالباً إليه أن يدرس لى مخطوطات الديوان الموجودة هناك مما ذكره بروكلمان ، فوصفها لى قائلاً إن الموجود منها — ما عدا نسخة كوبربلى ١٢٥٢ — لا يغنى بل لا يفيد فى نشر الديوان ، وهاك وصف ما أطلع عليه ؛ منتهزاً هذه المناسبة لأسجل فضله ومعاونته لى فى تيسير الحصول على كثير من المراجع التى استندت فى التحقيق عليها .

يكى جامع ٩٤٦ : نسخة من الديوان خطها نسخ حسن فى ٢٢٤ ورقة مسطّرتها ٢٥ ومقاسها ٢٠×٢٨,٥ سم ، كتبت فى القرن الحادى عشر ، آخرها قصيدة يمدح بها محمد بن على التّمى ويصف الفرس والسيّف (القصيدة ٦٧٤) التى مطلعها :

أهلاً بذككم الخيال المُقْبِلِ فَعَلَ الَّذِى نَهَوَهُ أَمْ لِمَ يَفْعَلِ

لاله لى ١٧٣٣ : نسخة من الديوان فى ٢٥٥ ورقة ، مسطّرتها ٢٥ ، كتبت سنة ١٠٣٩ هـ . وهى رديئة وبها آثار رطوبة .

حميدية ١٠٨٤ : عادية ، كتبت فى القرن الحادى عشر . أما رقم ١٢٠٧ فليست الديوان ولكنها نسخة من الموازنة كتبت سنة ١٠٨٤ هـ .

عمومية ٥٦٩٤ : هى منتخب من ديوان البحرى فى ٢٢٩ ورقة مسطّرتها ٢٥ وخطها ردىء ومملوءة بالأغلاط ، كتبت سنة ١٢٦٠ هـ عن نسخة المصنف « أى المنتخب » وفى نهايتها ما يلى :

« هذا آخر ديوان البحرى عفا الله عنه . قال محررها محمد أمين العمرى ابن خير الله الخطيب العمرى الموصلى : وجدت ديوان البحرى كاملاً وهو خمسة عشر ألفاً من الأبيات وثلاثمئة وستين وأكثر ، هجواً ومدحاً ؛ فانتقيت منه هذه الكراريس « زها » على « إحدى عشر » ألف بيت . وأسقطت غالب الهجاء وبعض المدايح الموحشة الألفاظ المعقدة العبارة . على أنه كله « غادت » الشجر وبكر النظم . لكن الشئ « لا » يخلوا » من الجيد والردىء إلا ما ندر والحمد لله كماله وتمام اختصاره وختام رسمه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . كان الفراغ منه نهار الثلاثاء ثالث وعشرين من صفر الخير المبارك فى سنة ألف ومائة وخمسة وسبعين [تاريخ التأليف] ، وكان الفراغ من نقله من خط المؤلف رحمه الله فى عشر نخلت من شهر رمضان الشريف عام ١٢٦٠ » .

عاشر أفندى ٨١٩ : مختارات من ديوان البحرى . لم يكتب اسم الذى اختارها ، وهى بخط نسخ معتاد ، وقد حصلنا على صورة منها ، وسنصفها مع الكلام على المخطوطات التى جمعناها .

• • •

وكتب إلى من العراق الأستاذ كوركيس عواد رسالة فى سنة ١٩٥٢ يقول لى فيها إنه عثر على أربع نسخ من الديوان فى بغداد :

ثلاث فى خزانة الأوقاف العامة أرقامها : ٤٨٧ وتاريخها ١١٨٤ هـ ، ٤٩٢

وتاريخها ١١٦٠ هـ ، ٥٧٢٩ هـ وهي قطعة من الديوان غير مؤرخة .

والرابعة في خزانة الأستاذ يعقوب سر كيس ، وهي قطعة من الديوان ، ذكر فيها أنها كتبت سنة ٧٤٢ هـ . ويقول الأستاذ عواد إن هذا ليس بصحيح فإن هذا التاريخ مزور ، وقد مُحَيَّ منها اسم « البحتري » ووضع بدلاً منه « الحميري » .

وذكر الأستاذ عواد أنه عثر كذلك على ثلاث نسخ في مدينة الموصل ، وهي :

١ - نسخة في المدرسة الأحمدية ، ذكرها الدكتور داود الجلي في كتابه « مخطوطات الموصل » (ص ٢٣ رقم ٤) ، فقال : « ديوان البحتري جمع أبي الحسين بن الحاجب البغدادى » .

٢ - نسخة في جامع الباشا ، ذكرها الجلي (ص ٤٨ رقم ١٨) ولم يزد على قوله « ديوان البحتري » .

٣ - نسخة في المدرسة الحسينية ، ذكرها الجلي (ص ١٢٣ رقم ٢٠٧) ، وعليها العبارة المكتوبة على نسخة (عمومية ٥٦٩٤) التي وصفناها من قبل . فهي بخط محمد أمين العمري ، أي أنها صورة أخرى لتلك ، ومنقولة عن النسخة ذاتها المكتوبة سنة ١١٧٥ هـ .

ثم ذكر الأستاذ عواد النسخ الأخرى في غير العراق فقال :

(أ) نسخة في حلب لدى ورثة الحاج قنّـدُور الحلبي ، ذكرها القس سباط في ذيل فهرسته .

(ب) نسخة في خزانة الفاتيكان ، ذكرها دلائفـيدا في فهرس المخطوطات في الفاتيكان برقم ١٣٧١ وهي قطعة صغيرة من الديوان ضمن مجموع خطي ، والقطعة تبدأ بالورقة ١ وتنتهي بالورقة ٢٧ .

(ج) في الآستانة أربع نسخ وهي :

نسختان في خزانة كوبريلي برقم ١٢٥٢ و ١٢٥٣ [وقد حصلنا على صورة الأولى وسنصفها] .

نسخة في خزانة يكي جامع برقم ٩٤٦ [مرّ ذكرها ووصفها] .

نسخة في خزانة حميدية برقم ١٠٨٤] مر ذكرها ووصفها ، ولم يذكر لنا الأستاذ عواد النسخة الثانية التي أشار إليها بروكلمان] .

(د) في باريس نسختان هما :

نسخة في المكتبة الأهلية برقمها ٣٠٨٦] هي التي صورناها واتخذناها أمّا لطبعتنا] .

نسخة أخرى في هذه المكتبة رقمها ٣٣٠٠ وهي منتخبات من أشعار المتنبي والبحري ، قوامها ١٤٠ ورقة في كل صفحة ١٧ سطراً ، وهي من مخطوطات المائة الثامنة للهجرة .

أما باقي النسخ فهي موزعة كالاتي :

١ - في مكتبة غوطا نسخة رقمها ٢٦ .

٢ - في مكتبة ميونخ نسخة رقمها ٥٠٨] لدينا صورة منها وسنصفها] .

٣ - نسخة مكتبة فيينا ورقمها ٤٥٠] ذكر الأستاذ مرجليوث في « دائرة المعارف الإسلامية » أنها مشابهة لنسخة كوبريلي] .

٤ - نسخة مكتبة بطرسبورغ رقم ٢٦٧ M .

٥ - وفي مكتبة برلين قطعة من الديوان رقمها ٧٥٤٠ (فهرست آلورد Ahlwardt] جاءت في كتاب « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمان (١ : ٥١ الترجمة العربية) أنها مختارات من الديوان] .

وفي مكتبة ليدن ثلاث نسخ وهي :

نسخة رقم ٦١١] جاء في كتاب « تاريخ الأدب العربي » أنها أول] .

نسخة رقم ٦١٢ وتاريخها سنة ١٢٨٨ هـ .

نسخة رقم ٦١٣ وتاريخها سنة ١٣٠١ هـ

هذا ، وقد وجدنا في كتاب « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمان ١ : ٥٢ الترجمة العربية) ذكراً لوجود قطعة من قصيدة البحري التي مدح بها أبا سعيد

محمد بن يوسف مع ترجمة تركية لمحمد بن شرف الدين فهرست مكتبة أذربيجان
٢ : ٣٩٥ - ٣٩٦ . وقد أشار بروكلمان إلى هذه القطعة ، وهي الأبيان ٤١
وما بعدها من القصيدة ٦٢ (وانظرها في طبعتنا هذه صفحة ١٨٨ - ١٨٩)
وتبدأ هذه الأبيات بقوله :

يا أَهْلَ حَوْزَةِ أَذْرَبَيْجَانِ أَلَى حَازُوا الْمَكَارِمَ مَشْهَدًا وَمَغِيْبًا

• • •

وقد استطعنا أن نحقق طبعتنا هذه على خمس عشرة نسخة مخطوطة سنصفها
فيما بعد ؛ وهذه المخطوطات التي اجتمعت لنا تنقسم إلى أربع مجموعات :

١ - مجموعة رُتبت القصائد فيها على الأشخاص . وعلى رأس هذه المجموعة
مخطوطة كوبريلتي التي رمزنا لها بحرف (ا) ؛ وأخواتها د ، و ، ز ، ط ، م ،
ن ، س .

٢ - مجموعة مرتبة على حروف المعجم . على رأسها مخطوطة باريس التي
رمزنا لها بحرف (ب) واتخذناها أمماً في تحقيق الديوان . وتسير في ركاها
خطوة فخطوة مخطوطة ميونخ التي رمزنا لها بحرف (ج) . أما المخطوطتان هـ ، ي
فتختلفان أحياناً في ترتيب قصائد كل قافية عن المخطوطة (ب) ، وتختلفان معها
أحياناً في بعض الترتيب .

٣ - مجموعة رتبت القصائد على أبواب ، كل باب في غرض بعينه كالمدح
أو الفخر ، أو الرثاء ؛ إلى آخر هذه الأبواب . وهذه المجموعة تنضوي تحت لواها
النسختان اللتان رمزنا لهما بحرفي (ح) ، (ل) .

٤ - ثم مجموعة جمعت بين ترتيب نسختي الأبواب في أولها ، واختلفت عنها
بعد ذلك في بعض قصائد متفرقة لاترتبط بقافية أو غرض ، ثم اتبعت في قسمها
الآخر نظام الترتيب على القوافي . وهذه المجموعة تمثلها نسخة وحيدة هي التي
رمزنا لها بحرف (ك) .

• • •

وهذا هو صف للمخطوطات التي رجعنا إليها : أقدمه في وضوح ليكون صورة كاملة الملامح أمام القارئ : وأبين الفروق بين كلٍّ منها :

النسخة (١) :

هي المخطوطة المحفوظة بخزانة كوبريللي بالآستانة برقم ١٢٥٢ وعدد أوراقها ١٩٧ ورقة مقاسها ٣٣×١٧ سم . وعدد السطور في كل صفحة ٣٢ سطراً . ويرجع تاريخها إلى عام ٤٢٤ - ٤٢٥ هـ ؛ إذ جاء على الورقة الأولى هذه العبارة « كتبه على بن عبد الله الشيرازي بمدينة تبريز في سنة أربع وعشرين وأربع مائة في شهر رمضان منها » . وقال ناسخها إنه خدم بها « خزانة كتب الأستاذ الجليل أبي المظفر إبراهيم بن أحمد ابن الليث : أطال الله في العز والنعم بقاءه وأدام علاه » . وهي مكتوبة بالقلم النسخ ومضبوطة بالشكل ضبطاً كاملاً ودقيقاً .

واتبع فيها ناسخها طريقة خاصة هي وضع حرف (ح) صغيرة تحت الحاء تميزاً له عن الجيم والحاء . ووضع نقطة تحت حرف الدال تميزاً له عن حرف الذال ، وكذلك وضع ثلاث نقط تحت السين ليميزها من الشين . ثم وضع هذه الحروف الصغيرة ص ، ط ، ء تحت حروف الصاد والطاء والعين . أما من حيث حركات الضبط فإنه يكتب الشدة المفتوحة أو المضمومة بوضع الفتحة أو الضمة تحت الشدة مباشرة ، وحين يكتب الشدة المكسورة يضع الشدة وحدها فوق الحرف والكسرة تحته .

وقد بدأ الورقة ١ ظ بهذه العبارة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وما توفيتي إلا بالله . قال البحرى وهو الوليد ابن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شمال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خثيم بن أبي حارثة بن جدى بن تدول بن بحسر بن عتود بن عني بن سلامان بن ثعل بن عمرو ابن الفتوث بن جلهمة وهي طيبي ؛ وكنيته أبو عبادة يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله ويذكر صلح بني تغلب » .

ثم يتبدى بذكر القصيدة رقم ٥١٦ التي مطلعها :

مُنَى النَّفْسِ فِي أَسْمَاءٍ أَوْ نَسْتَطِيعُهَا بِهَا وَجَدُهَا مِنْ غَادَةٍ وَوَلَوْعُهَا
وينتهى بذكر القصيدة رقم ٧٠٠ الى مطلعها :

رَاجَعَ الْقَلْبَ بَثُّهُ وَخَبَّالَهُ لَخَلِيطِ زُمَّتْ لَبَيْنِ جِمَالُهُ
ويختم المخطوطة بهذه العبارة :

« هذا آخر ما وُجد من شعر البحترى في جميع النسخ والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليمًا . وحسبنا الله ونعم
الوكيل . كتب على بن عبيد الله الشيرازى بمدينة تبريز في صفر سنة
خمس وعشرين وأربع مائة وهو يستغفر الله » .

فكأنه أمضى في نسخها ستة أشهر .

وقد بلغ عدد قصائد هذه المخطوطة ٦٥٠ قصيدة ومقطوعة . وهي ليست مرتبة
على حروف المعجم ولا على الموضوعات ، ولكنها - على قول الأستاذ ا . س .
مرجليوث في « دائرة المعارف الإسلامية » (مجلد ٣ : ٣٦٨ الترجمة العربية) مادة
« البحترى » - « مرتبة بأسماء الأشخاص والأسر الذين قيل الشعر فيهم ، ولو أن هذا
الترتيب لم يكن مرعيًا على الدوام » . فهي تجيء ببعض القصائد التي نظمها في المتوكل
ثم في الفتح بن خاقان ، ثم المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدى ، ثم بعض الوزراء
والقواد ، لتعود بعد ذلك فتكرّر هؤلاء الأشخاص وتزجّ بين هذا وذاك مقطوعة
هجو أو عتاب أو استسقاء أو رثاء وغير ذلك من أبواب الشعر .

وهذه النسخة هي التي طبعت عليها الطبعة الأولى للديوان بمطبعة الجوائب
بالآستانة ١٣٠٠ هـ [١٨٨٢ م] كما ذكرنا من قبل .

ولقد تنقلت هذه النسخة من يد إلى أخرى على مدى هذه القرون الطويلة ،
وامتلأت ورقتها الأولى بخطوط متعددة تبين التمليكات المختلفة : حتى امتلكها
كوبريلي ووقفها . (انظر اللوحات ١ ، ٢ ، ٣) .

النسخة (ب) :

هى المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ٣٠٨٦ وعدد أوراقها ٤٣٢ ورقة مقاسها ٢٦×١٧ سم ، وعدد السطور فى كل صفحة ١٩ . وقد كتب على الورقة الأولى منها « الأول من ديوان أبى عبادة البحرى رحمه الله » وعليها بعض تمليكات واستعارات مشطوب عليها ، ثم ينتهى النصف الأول منها عند البيت ٤٤ من القصيدة ٤٧٣ التى مطلعها :

سَهْرٌ أَصَابَكَ بَعْدَ طُولِ نَعَاسٍ لَصُدُودٍ أَغْيَدَ فَاتِنٍ مَيَّاسٍ

وهى قصيدة يبلغ عدد أبياتها ٨٤ بيتاً ، أكملناها من النسختين هـ ، ي ، وهى واردة فيهما من ٨٣ بيتاً . ولا شك فى أن هذه المخطوطة قد ضاع منها أكثر من ورقة ، وأن الورقات المفقودة كانت تضم بقية هذه القصيدة ثم بعض المقطوعات . التى تليها إلى المقطوعة ٤٧٨ من حرف السين إن لم تكن جميع هذه المقطوعات . ثم تبدأ قافية الصاد بهذه العبارة « النصف الثانى من ديوان البحرى » وأولها القصيدة ٤٨٩ ومطلعها :

مَا لِيذَا الظُّبْيِ لَا يُنَالُ أَقْتِنَاصُهُ وَهُوَ بِالْقُرْبِ بَيْنَ أَفْرَاصِهِ

وهذه المخطوطة مكتوبة بخط نسخ عادى ، أمّا عناوين القصائد والمقطوعات فقد كتبت بالخط الثلث ، وضبطت بعض حروفها بالشكل ، ولكن هذا الضبط فى أكثر الأحيان خاطئ كما أنها مليئة بتصحييف كثير . وكتب بأعلى الورقة ، (٢ ظ) ما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال أبو عبادة الوليد بن عبَّيد بن يحيى بن عبَّيد ابن شمال بن جابر بن سلمة بن مُسهر بن الحارث بن جُشم بن أبى حارثة بن جُدَى بن تدول بن بُحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلنهممة - وهوطي - بن أدد بن زيد بن الهميسع ، ويقال ابن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ، على قافية الهمزة يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى الطائى » .

وتبدأ بذكر القصيدة رقم ١ ثم تنتهى بالقصيدة ٩٣٣ ومطلعها :

قَطَعْتُ أبا لَيْلَى وما كُنْتُ قَبْلَهُ قَطُوعاً ولا مُسْتَقْصِرَ الْوَدِّ جَنَافِيا

وقد جاءت القصيدة ١٨ فى هذه النسخة تالية للمقطوعة ٩ فى طبعتنا هذه ، ثم القصيدة ١٩ والمقطوعتان ١٠ و ٢١ بعد القصيدة رقم ١٢ فى طبعتنا ، ثم تجىء المقطوعات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ بعد المقطوعة ١٤ من طبعتنا فنقلناها إلى قافية الألف المقصورة ، وكذلك نقلنا إلى هذه القافية المقطوعة رقم ٢٦ وكانت تقع فى المخطوطة فى الورقة ١٨٨ ظ فى حرف الراء بين المقطوعة ٣٩٢ والقصيدة ٣٩٣ لغلبة الألف المقصورة . كذلك جعلت هذه المخطوطة قافية الواو قبل الهاء فنقلنا المقطوعة الوحيدة التى فى قافية الواو بعد نهاية قافية الهاء لتنمشى مع الترتيب المصطلح عليه لحروف الهجاء.

ونختم الناسخ هذه المخطوطة بهذه العبارة :

« تم الديوان وكمل ، والله الحمد والمنّة ، وصلواته على خير خلقه محمد وآله أجمعين . ووقع الفراغ منه يوم الجمعة رابع عشر صفر سنة عشر وستمائة ، وذلك على يد العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى على بن محمد بن أبى القاسم بمدينة الموصل برسم خزانة الإمام العالم الفاضل جمال الدين أديب الأدباء مخلص الدين أدام الله علوه وحرم سموه لمحمد وآله . »

وتشترك هذه النسخة مع بعض النسخ الأخرى فى إثبات الكثير من شعر البحترى الذى لم يرد فى المخطوطة (١) وفى طبعات الديوان السابقة ، وهو الشعر الذى أشار المعرى إلى مطالع كثير من قصائده فى كتابه « عبث الوليد » . ولكنها تنقص عدداً من القصائد التى أثبتناها نحن من النسخ الأخرى التى تليها فى التاريخ ، كما أن بعض قصائدها كانت تنقص أبياتاً أو كلمات من بعض الأبيات فأكملناها من غيرها .

وقد بلغ عدد قصائد هذه النسخة ٨٣٥ قصيدة ومقطوعة ، أضفنا إليها من النسخ الأخرى ٩٨ قصيدة ومقطوعة . وانفردت هى عن النسخ الأخرى بسبع وعشرين قصيدة ومقطوعة اشتركت أختها النسخة (ج) فى أربع عشرة منها .

والنسخة (ب) هي التي اعتمدناها أمماً في تحقيقنا لهذا الديوان وفي ترتيبه لأنها أقدم ما وقع لنا من المخطوطات التي رتب فيها القصائد على حروف المعجم ، فتاريخها هو سنة ٦١٠ هـ ، كما بينّا . (انظر اللوحات ٤ ، ٥ ، ٦) .

النسخة (ج) :

هي المخطوطة المحفوظة بمكتبة ميونخ في ألمانيا برقم ٥٠٨ وعدد أوراقها ٨٧ وسطورها تختلف بين ٢٤ و ٣١ سطراً في الصفحة . وهي مكتوبة بخط مزيج بين الرقعة والفارسي ، ليس بالمتقن وغير مضبوط بالشكل وفيه تصحيف كثير . ولم يعرف اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها لأنها ناقصة وفي بعض أوراقها تشويه أرضه ، ولكننا نرجع تاريخها إلى القرن السادس الهجري تقريباً .

وهي مرتبة على حروف الهجاء بالترتيب نفسه الذي سارت عليه المخطوطة (ب) ، ولعلها أن تكون منقولة عنها أو عن نسخة أخرى منقولة عن تلك . ولكنها تنتهي عند البيت ٣٢ (صفحة ٧٣٨) من القصيدة ٢٨٨ التي مطلعها :

رُنُوْ ذَاكَ الْغَزَالِ أَوْ غَيِّدُهُ مُوَلِّعُ ذِي الْوَجْدِ بِأَلَّذِي يَجْدُهُ

أي عند البيت الذي يقول فيه :

تَرْفُقًا فِي أَطْلَابِ مَالِهِمْ وَجَمْعِهِ ، أَوْ يَعْصِيهِمْ بَدْدُهُ

وبذلك يكون عدد قصائد هذه المخطوطة ٢٦٣ قصيدة ومقطوعة . وقد اشتركت مع المخطوطة (ب) في إيراد ١٤ قصيدة ومقطوعة لم ترد في المخطوطات الأخرى .

النسخة (د) :

هي المخطوطة المحفوظة بمكتبة أسعد أفندي بالآستانة برقم ٢٦١٥ ، وهي النصف الثاني من ديوان البحري ، وتبدأ بالقصيدة ٣٤ (انظر صفحة ١٠٤) ومطلعها :

رَأَى الْبَرْقَ مُجْتَازًا فَبَاتَ بِالْأَلْبِ وَأَضْبَاهُ مِنْ ذِكْرِ الْبَخِيلَةِ مَا يُضْبِي

وعدد أوراقها ٢٠٧ ورقة ، سطور كل صفحة منها ١٥ سطراً . وقد كتبت بخط فارسي ، وامتلات ورقاتها الأولى والأخيرة بمختارات من الشعر والحكم لعدد من الشعراء المعروفين وغير المعروفين ، وعليها تعليقات متعددة ؛ من بينها تملكك يُستدلُّ منه على أنها كانت كاملة فضاع النصف الأول منها إذ جاءت هذه العبارة بالورقة ٢ مكتوبة بخط فارسي جميل « ملكه مع مجلده الأول الفقير إلى ربه ذي العوارف عبد الباقي عارف بمصر القاهرة » . وبهذا القلم كتب فوق هذا التملكك هذه العبارة « بخط الشهاب » أي أنها بخط الشهاب الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ .

وترتيب هذه المخطوطة هو الترتيب نفسه الذي التزمته النسخة (ا) وتنتهي كذلك بالقصيدة رقم ٧٠٠ ويختتمها ناسخها هكذا :

« هذا آخر ما وجدناه من شعر البحري في جميع النسخ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه » .

ثم يكتب بأعلى هذه الورقة (الورقة ٢٠٧) نقلا عن أمالي المرتضى :

« كان سبب خروج البحري من بغداد في آخر أيامه هذه الأبيات »

ويورد أبيات المقطوعة رقم ٦٠٥ وهي أبيات لم ترد في النسخة (ا) وإخوتها ومنها النسخة (د) نفسها ومطلعها :

أَخَى مَنِي خَاصَمَتَ نَفْسِكَ فَأَخَذْتَهُ
لَهَا وَمَنِي حَدَّثْتَ نَفْسَكَ فَأَصْدُقِ
ونجد في هوامش هذه المخطوطة نقولاً من كتاب « عبث الوليد » للمعري .

وقد بلغ عدد قصائد هذه المخطوطة (النصف الثاني من الديوان) ٢٣٤ قصيدة .

النسخة (هـ) :

وهي المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٥٣١ ، وعدد أوراقها ٣٤٠ ورقة ، وسطور كل صفحة ٢١ سطراً ، وهي مكتوبة بخط نسخ جميل للغاية ، ولكن فيه تحريفاً وتصحيحاً كثيراً وتَرَكَا للنقط أو لبعض الكلمات ورسماً

لبعضها الآخر إذا تعذر على الناسخ فهمه ولم تضبط بالشكل إلا نادراً . أما عناوين القصائد فقد كتبت بالمداد الأحمر . وهي مجدولة كذلك بهذا المداد . واسم الناسخ مصطفى بن حسن بن محمد الحسيني الصمادي . تاريخ نسخها سنة ١١٠٠ هـ . وقد قدم لها بما يلي :

«بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد فهذه أوراق تشتمل على معظم نظم أبي عبادة البحرى رحمه الله تعالى ، نقلته من ديوانه بيد أنى أسقطت المحجور فلم أنقل منه شيئاً ؛ والله الموفق الهادى إلى سبيل الصواب . منه المبدأ وإليه المآب » .

وهذه المخطوطة مرتبة على حروف المعجم ، ولكنها تختلف فى ترتيبها أحياناً عن النسخة (ب) ، وتتفق أحياناً معها فيه . فهى تبدأ بالتصيدة ٢ وتليها القصائد : ١ ، ٣ ، ١٢ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ١٦ (وهى التصيدة التى انفردت بها وقد أورد المعرى بيتاً واحداً منها خلال كلام له) . وهكذا فى باقى القصائد والمقطوعات فى جميع القوافى إذ تتقدم أو تتأخر واحدة منها عن ترتيبها الذى جاء فى طبعتنا .

ووضعت القصائد التى تنتهى قافيتها بالهمزة والكاف أو الدال والكاف أو العين والكاف فى قافية الكاف . ويرى أبو العلاء المعرى هذا الرأى فى كتابه « عبث الوليد » . ولكننا اتبعنا الحرف السابق للكاف الزائدة إذا لم يكن ذلك الحرف من بنىة الكلمة . كذلك جعلت هذه المخطوطة حرف الواو قبل الهاء كما جاء بالنسخة (ب) . وقد جاء بهوامشها بعض نقول من « عبث الوليد » .

وانتهت هذه المخطوطة كما انتهت المخطوطة (ب) بالتصيدة ٩٣٣ وختمها ناسخها بهذه العبارة :

« هذا آخر ديوان الشاعر الأديب البحرى رحمه الله تعالى . وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة اللطيفة فى اليوم الخامس والعشرين من ربيع الأول الأنور سنة مائة بعد الألف على يد العبد الفقير المعتمد

على عفو ربه الهادى مصطفى بن حسن بن محمد الحسينى الصمادى
غفر الله له ولوالديه ولكل المسلمين أجمعين . والحمد لله رب العالمين .
آمين » .

وبآخر هذه الورقة ختم بالقلم الفارسى الجميل يشير إلى أن هذه النسخة « من
ممتلكات مصطفى نجيب » . أما الورقة الأولى فإن فيها تمليكات مشطوبة ما عدا
اثنتين منها . الأول عبارته « من عطا الله إلى عطا الله سنة ١٢٠١ » والثانى عبارته
« كتبت أقول ملكى والملك لله الملك العظيم وأنا الأقل حسن بن المرحوم السيد باقر
ابن السيد إبراهيم فى ٢١ رجب سنة ١٢٣٤ » ثم ذيل ذلك بختم « حسن الحسينى » .
وقد بلغ عدد قصائد هذه النسخة ٦٤٠ قصيدة ومقطوعة انفردت بسبع منها
لم ترد فى النسخ الأخرى . (انظر اللوحات ٧ . ٨)

النسخة (و) :

هى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٢٦٧ وعدد أوراقها ٣٢٣ ،
وسطورها فى كل صفحة ١٩ . وهى مطابقة فى ترتيبها لمخطوطة كوبريلى التى
رمزنا لها بحرف (ا) ، وناسخها هو فرج الله بن نعمان الخزومى المكى ، فرغ
من كتابتها فى غرة المحرم سنة ١٢٦٦ هـ . وخطها نسخ عادى . مليئة بالتحريف
والتصحيف ونقص فى بعض الأبيات .

النسخة (ز) :

هى مخطوطة أخرى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٦ أدب م . وعدد أوراقها
٢٩٢ ، كل صفحة منها ٢١ سطراً . وهى كالنسخة (و) مطابقة لمخطوطة
كوبريلى (ا) . وخطها نسخ عادى ، مليئة كذلك بالتحريف والتصحيف
ونقص الأبيات ، وناسخها هو مصطفى بن حسن البابلى ، فرغ من كتابتها فى
يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٨٣ هـ .

النسخة (ح) :

هى المخطوطة رقم ٦١٥ المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وعدد أوراقها ٢١١
وسطورها فى كل صفحة ١٩ سطراً . وهى مكتوبة على ورق أصفر بخط نسخ

عادى غير مضبوط بالشكل ، وفيها كثير من التحريف والصحيف وقد مُبَيَّزَت عناوين القصائد بالمداد الأحمر . وبلغ عدد فصائدها ومقطوعاتها ٤٥٧ تشترك هي والنسخة (ل) في ذكر ٣٩ قصيدة ومقطوعة لم ترد في النسخ الأخرى .

وهي مقسمة إلى سبعة أبواب : الأول في المديح والتهنئة ، ولم يذكر في الورقة الأولى اسم هذا الباب ولا عنوان القصيدة الأولى منه ، وهي القصيدة ٥٥٥ . وإنما بدأت المخطوطة هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال أبو عبادة الوليد بن عُبَيْد البحرى : »

أُتْرَاكَ تَسْمَعُ لِلْحَمَامِ الْهَتْفِ شَجْوًا يَكُونُ كَشَجْوِكَ الْمُسْتَطَرَفِ

ثم يليه الباب الثانى وهو « فى الفخر » ، والثالث « فى المراثى والتعزية » ، والرابع « فى العتاب وذم الزمان والاستبطاء » ، والخامس « فى الهجاء » ، والسادس « فى المكائبات والمداعبات والمزاح وسقيا الراح » ، والسابع « فى الرقيق والغزل » .

وتنتهى هذه المخطوطة بهذه العبارة :

« هذا آخر شعر البحرى والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم . وكان الفراغ من كتابتها يوم الأربعاء ٢٤ مضت من شهر ربيع الآخر سنة ألف ومايتين ستة وتسعين من الهجرة على يد الفقير إلى الله تعالى الراجى حسن المسامحة عبد الوهاب سليمان السباعى والحمد لله وحده » .

ولم يذكر الناسخ شيئاً عن النسخة الأصلية التى نقل عنها ، ولعلها أن تكون منقولة عن النسخة (ل) التى يمتلكها الأستاذ الدكتور محمد صبرى ، أو عن نسخة منقولة عن تلك .

النسخة (ط) :

هى مخطوطة مكتبة الأزهر رقم ٢٤١ أباطة ٦٨٤٦ وعدة أوراقها ٣٦٣ وسطور كل صفحة منها ١٧ سطراً ، ومجدولة بالمداد الأحمر . وهى فى ترتيبها كالمخطوطة (أ) وجاء فى نهايتها :

« هذا آخر ما وجدناه من شعر البحرى قال جامع هذه النسخة :
وقد حذفنا من شعره كثيراً من هجوه لعدم سلاسته : والله سبحانه
وتعالى أعلم » .

وهى بخط عبد الوهاب سليمان السباعى - ناسخ المخطوطة (ح) التى تختلف
فى ترتيبها عن هذه النسخة - فرغ من كتابتها يوم الأحد تاسع عشر من شوال
سنة ١٢٩٣ . وقال إنه نقلها عن نسخة بدار الكتب المصرية . ولعلها إحدى
النسختين (و) ، (ز) اللتين وصفناهما من قبل .

على أنه قد تبين لنا أن ناسخها لم يكتف بحذف شعر الهجو ، بل إن فى
هذه النسخة نقصاً كبيراً فى عدد من القصائد التى لاهجو فيها ، فاتها أو سقطت
منه . وفى هذه النسخة من التصحيف والتحريف ما فى الأصل الذى رجع إليه
ويزيد .

النسخة (ى) :

هى المخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢٧ م . وعدد أوراقها ١٩٧ وسطور
كل صفحة منها ٢٥ سطراً . وثناسها كبير ٢٣,٣ سم \times ٣٦,٥ سم مرتبة مع
حروف المعجم باختلاف عن النسختين (ب) ، (هـ) : ومجدولة بالمدايا الأحمر ، وخطها
نسخ ردىء متداخل الحروف ، وضبوبة بالشكل ولكنه ضبط خاطيء ، ومشحونة
بالتحريف والتصحيف ورسم الكلمات على غير فهم . ولم يُعرف تاريخ كتابتها
ولا اسم ناسخها . وهى ناقصة ، والموجود منها إلى حرف الكاف . ونرجح أن تاريخها
يرجع إلى القرن الحادى عشر الهجرى .

ويبلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها ٣٤٩ ، وعلى الرغم من نقصها فإن فيها إحدى
عشرة قصيدة ومقطوعة انفردت بها عن النسخ الأخرى ، كما اشتركت مع النسخ
(ب، ج، هـ ، ح ، ك ، ل) فى إثبات قصائد ومقطوعات لم ترد فى النسخة (أ)
ولاخوتها .

وفى أول هذه النسخة مقدمة فى تسع ورقات تشمل على أخبار البحرى مما

رواه الصُّولى ، وهى التى نشرها الدكتور صالح الأشر فى كتاب على حدة بعنوان « أخبار البحرى » واعتمد فيها على مقدمة هذه النسخة وعلى نسختين أخريين من هذه المقدمة ؛ إحداهما محفوظة بمكتبة الإمبروزيانا فى ميلانو ، ومنها فيلم محفوظ بمعهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ؛ والأخرى نسخة المشرق ماسينيون وهى منسوخة عن نسخة دار الكتب المصرية سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) . وقد ظهر هذا الكتاب عام ١٩٥٨ بين مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق .

وقد نشر جزء كبير من هذه الأخبار كمقدمة لطبعة الديوان التى نشرها أمين هندية بالقاهرة سنة ١٩١١ وقد أشرنا إلى ذلك حين تكلمنا على تلك الطبعة .

النسخة (ك) :

هى نسخة حديثة محفوظة بمكتبة المشرقين الألمان بمدينة هال (لينزج) بألمانيا برقم ١٠١ . وعدد أوراقها ٢٢٢ وسطور كل صفحة منها ١٥ سطراً . وكان المشرق الألمانى الكبير الأستاذ الدكتور كارل بروكلمان قد كتب إلى فى سنة ١٩٥١ رسالة يذكر فيها أنه وجد نسخة فى جمعية المشرقين الألمان وهى من تركة الأستاذ سوسن Socin وأنها حديثة ولا تاريخ لها ولا إشارة إلى أصلها . وقال لى - رحمه الله - فى رسالة أنه قابلها على طبعى الديوان - طبعة الجوائب وطبعة مصر - فوجد فيها كثيراً من الأشعار غير الموجودة فى الطبعتين ، وأنها مرتبة ترتيباً غير ترتيب أصل الطبعتين ، وأبى فضله إلا أن يفهرسها لى ذاكرة مطالع القصائد والمقطوعات التى لم ترد فى المطبوع وعدد أبيات كل منها . وهذا فضل له أسجله هنا إلى جانب ما قدم للأدب العربى وتاريخه من فضل بكتابه القيم الذى تقوم الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية متعاونة مع دار المعارف على نشره بعد أن قام بنقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار .

وبعد سنوات تفضل على المشرق الألمانى الأستاذ الدكتور يوهان فك Johann W. Fück فبحث عن هذه المخطوطة ثم أرسل إلى فيلماً مصوراً لها . فأسجل له هنا هذا الفضل .

وهذه المخطوطة تضم ٣٤١ قصيدة ومقطوعة ، انفردت بست عشرة قصيدة

ومقطوعة لم ترد في المخطوطات الأخرى ، كما تنفرد بطريقة في ترتيب القصائد حيث اقتفت أثر النسختين (ح) ، (ل) اللتين رتبا القصائد على أبواب فابتدأ بقصائد المديح . وقد اتفقت النسخة (ك) معهما في الإحدى والأربعين القصيدة الأولى ثم بدأت تسقط قصيدة ثم قصيدتين ثم ثلاثاً ثم أكثر من ذلك حتى بلغت القصيدة التاسعة والخمسين في ترتيبها (وهي القصيدة ٢٩٠ في ترتيبنا) فاختلقت عن نهج النسختين (ح ، ل) . وبدأت ترتب القصائد التالية على حروف الهجاء ولكنها لم تبدأ إلا بحرف اللام وكان أول ذلك القصيدة ٦٢٩ في ترتيبنا ، وقد سارت في ترتيب قصائد حرفي اللام والميم كترتيب النسخة (ب) ، وهو ترتيب طبعنا ، إلا في قصائد قلائل من هاتين القافيتين كان قد وردت في القصائد الأربعين الأولى . وقبل أن تبدأ في قافية النون أوردت قصيدتين من حرف الحاء (هما القصيدتان ١٧٩ ، ١٧٦ في ترتيبنا) ثم المقطوعات ٦١٠ ، ٣٣٨ ، ٤٥١ (في ترتيبنا) ثم جاءت بقصائد حروف النون والهاء والواو والياء ما عدا بعض مقطوعات لم تذكرها من قافيتي النون والهاء .

وهذه النسخة مكتوبة بخط نسخ عادي ، ولم تذكر عناوين القصائد ، وفيها كثير من التحريف وبخاصة في القصائد التي انفردت بها .

النسخة (ل) :

هذه المخطوطة محفوظة بمكتبة الأستاذ الجليل الدكتور محمد صبرى الذى تفضل فأعازنى إياها ، ولم يشأ فضله أن يقف عند حد هذه الإعارة ، بل أعاننى بالكثير من إرشاده ، وإنى لأسجل له هنا هذا الفضل بالشكر والتقدير ، وأحبُّ أن أقرر هنا أنه كان فى عزمه أن ينشر الديوان منذ سنوات ثم نشر فى سنة ١٩٤٦ دراسة تحليلية نفيسة عن أبى عبادة البحرى فى سلسلة « الشوامخ » التى كان يتابع نشرها . فلماً علم أنى ماضٍ فى تحقيق الديوان رحب بهذا العمل ، ولم يضمن على بما قدّم من فضل .

وهذه النسخة عدد أوراقها ٢٦٦ ورقة مقاس ٢٠,٥×١٥ سم ، وعدد السطور فى كل صفحة ١٥ سطراً . وهى كالمخطوطة (ح) فى الترتيب وعدد القصائد، ولعلها

أن تكون الأصل الذى نقلت عنه النسخة (ح) أو أصلاً لما نقلت عنه ، فهى قديمة ترجع إلى سنة ١٠٣٠ هـ ، وكان جديراً أن تتقدمها فى مراجعنا ولكننا رجعنا إليها بعد أن كنا قطعنا شوطاً كبيراً فى تحقيقنا للديوان وسلمنا أصول القسم الأكبر منه للمطبعة فى منتصف عام ١٩٥٧ .

ويلاحظ أن هذه النسخة والنسخة (ح) قد خلّتا من قصائد مدح الخلفاء والوزراء . وهى مقسمة إلى الأبواب السبعة التى ذكرناها عند وصف النسخة (ح) . وتبدأ هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحرى » .
ثم تأتى بالقصيدة ٥٥٥ التى أولها : « أتُرّاك تسمع للحمام المتّف » .
وهى مكتوبة بخط نسخ ومضبوطة بالشكل الكامل ، بيّدت أنها لم تخل من أخطاء وتصحيفات وتحريفات ولكنها أقلّ مما فى النسخة (ح) . وقد ميّزت عناوين القصائد كذلك بالمداد الأحمر . وبلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها ٤٥٧ ؛ منها ٣٩ لم ترد فى المخطوطات الأخرى إلا المخطوطة (ح) . وكتب على ورقتها الأولى بعض تمليكات محبت كلمات منها ، ولم يبق واضحاً إلا عبارة هذا التملك :

« ممّا منّ الله به على عبده الراجى عفو ربه الغافر جعفر السيد باقر » .
وذيّل ذلك بختم « جعفر الحسى » . وختمت بهذه العبارة :
« هذا آخر شعر البحرى ، والحمد لله رب العالمين وصلّى على محمد وآله » .
ثم هذه العبارات مكتوبة بخط فارسى :

« كتب يوان فى أوائل شهر جمادى الآخرة سنة ثلثين .
وألف من الهجرة النبوية عليه أفضل التحية » ،
ثم هذه العبارة :

« كتبت من نسخة مكتوبة فى آخرها ما صورته :
فرغ من كتبه شيركا بن على الأصبهانى صبيحة يوم الأحد روزارد بيهشت
من ماه بهمن الواقع فى جمادى الآخرة سنة ست وثلثين وأربعماية .
وهو يحمد الله ويستغفره » .

وأخيراً هذه العبارة :

« ومكتوب في المتسخ : بلغت القراءة والمعارضة بالأصل فقرغت منها
سلخ ذى القعدة سنة ست وثلاثين وأربعماية »

النسخة (م) :

مخطوطة مخطوطة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة برقم ١٤٠ . وعدد أوراقها
٢٦٤ ورقة مقاسها ٢٥×١٢ سم . وعدد سطورها ٢٣ سطراً في الصفحة . وهي
بخط منصور بن سليم الدمشقي بالجامع الأزهر بمصر المحروسة سنة ١٠٣٦ هـ . وترتيبها
كالنسخة (ا) .

النسخة (ن) :

مخطوطة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٦٤٨ ز . وعدد أوراقها ٣٢٤
مقاسها ٢٤×١٦ سم وسطورها ١٩ ولم يذكر اسم ناسخها ولا تاريخ كتابتها .
وهي حديثة ؛ عليها تعليقات بخط أحمد زكي باشا ، وترتيبها كترتيب النسخة (ا)
أيضاً . وقد جاء في آخرها :

« هذا آخر ما وجدناه من شعر البحترى حذفت منه بعض أبيات في
الهجاء لقبحها وركاكة ألفاظها » .

النسخة (س) :

مخطوطة مكتبة عاشر أفندي بالآستانة رقم ٨١٩ ، وعدد أوراقها ١٢٠ ورقة في
كل صفحة ٢١ سطراً . وهي عبارة عن مختارات من شعر البحترى بعنوان « السلك
الدرى في المختار من شعر البحترى » وتقع هذه المختارات في ٥٠ ورقة من هذه
المخطوطة التي تضم كذلك مختارات من شعر الصنوبرى .

وهذه المخطوطة تتبع في اختيارها ترتيب النسخة (ا) إلا أنها لم تذكر مقدمات
للقصائد ، ولم تورد من كل قصيدة إلا بضعة أبيات .

• • •

وإلى جانب هذه النسخ المتعددة من مخطوطات الديوان ، رجعنا كذلك إلى

ثلاثة مراجع مما اختارت الكثير من شعر البحترى هي :

١ - اختيار من شعر البحترى لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧٤ هـ . اختار فيه أبياتاً من بعض القصائد لاجمعيها حسب الترتيب الهجائي ، قد يكتفى فيها ببيت أو بيتين من القصيدة ، وقد يتجاوز ذلك إلى الاثنى عشر بيتاً . ومن الأبيات التي اختارها طائفة من شعر البحترى الذي لم يسبق نشره .

وقد نشر هذه المختارات العلامة عبد العزيز الميمنى أستاذ الأدب العربى بجامعة عليكرة بالهند سنة ١٩٣٧ فى مجموعة بعنوان « الطرائف الأدبية » وطبعها لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

٢ - المختار من شعر البحترى فى كتاب « السفينة » لابن مبارك شاه أحمد بن محمد المتوفى سنة ٨٦٢ هـ . ويقع فى ثلاث وأربعين ورقة من الجزء الثانى من هذا الكتاب ، أى من الورقة ٢١ - ٦٤ ، وهى نسخة بخط المؤلف محفوظة بمكتبة فيض الله بالآستانة برقم ١٦١٠ . وهذا الاختيار كاختيار الجرجاني قائم على بيت أو بيتين من القصيدة وقد يتجاوز ذلك إلى أكثر من هذا العدد . وقد راعى فيه الترتيب الهجائى ، ولم يتناول جميع القصائد . ومن الأبيات التي اختارها طائفة من شعره الذي لم يسبق نشره ، بل منه ما هو وارد فى النسخة (ب) وجدناه منسوباً فى بعض كتب الأدب لغير البحترى كالعباس بن الأحنف وابن بسّام وجحظة البرمكى .

٣ - كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٧١ هـ فقد وجدنا فى هذا الكتاب كثيراً من شعره الذي لم يسبق نشره ، وبخاصة فى القسم المخطوط الذي لم ينشر بعد من كتاب « الموازنة » . وقد جاء فى الجزء الأول من الطبعة التي نشرها دار المعارف الآن من هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر جزء من هذا القسم المخطوط .

• • •

هذا إلى جانب ما وجدناه متفرقاً فى مختلف كتب الأدب والتاريخ التي رجعنا إليها ونبّهنا عليها فى حواشى الديوان .

نختم

أمّا وقد انتهيت من تقديم الديوان فقد وجب علىّ أن أقدمه للأدباء عامة ، ولعشاق شعر البحريّ خاصة ، راجياً أن أكون عند حسن ظنهم بما أصنع ، فإنّ وجدوا نقصاً ، أو تبينوا شططاً ، فحسبي عندهم أن أكون قد مهّدت الطريق لغيري وأنرتُ صوّاه وأوضحت معالمه ، حتى يستكملوا ما نقص منه ، ويردُّوا إلى الصواب ما جانبته فيه ، فالعصمة لله وحده ؛ ولا أدعى أني بلغت في هذا التحقيق الغاية القصوى ، ولكنني أومن أني أدّيتُ فيه الواجب كما يجب أن أدّيه ، وجمعت فيه بين طريقة المستشرقين في نشر النصوص وإثبات اختلاف المخطوطات وطريقة العرب الأقدمين في إثبات الروايات والشرح والتعليق .

أما إن وجد هؤلاء الأدباء فيما صنعت ما يستحق الشكر ، فحسبي هذا جزاءً على السنوات التي قضيتها مع هذا الشاعر ، سالباً من نفسي الراحة والهدوء والاستقرار، وباذلاً في سبيله كل جهد ماديّ غير ضنين به ، فالرّضا عما صنعت خير عِوَض عما بذلت .

ووجب علىّ هنا أن أشكر كل من أمدّني بالتشجيع والعون من إخواني الأعزّاء الذين ذكرت أسماءهم في هذه المقدمة ، كما أسجل هنا شكري لأخي المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر فقد أفدت من علمه ما هداني إلى وجوه الصواب في بعض ما اكتنفه الضباب .

والله أسأل أن يعجزى عني كل من ذكرت خير الجزاء .

حسن كامل الصيرفي